دراسات في الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

القاهرة

أحاديث إلى الشباب

(عن العقيدة والنفس والحياة)

في ضوء الإسلام

للأستاذ أنور الجندي

يشرف على إصدارها

محمد توفيق عويضة

العدد ١٦٥

السنة الرابعة عشرة

١٥ من ذى الحجة ١٣٩٤ هـ

٢٩ من ديسمبر ١٩٧٤ م


الله
جل جلاله

بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » .

(سورة فصلت)

أصل كل نهضة

نقطة البدء فى كل نهضة هى العقيدة : والاسلام وحده هو العقيدة القادرة على اطلاق طاقات هذه الأمة ، والاسلام منهج حياة وليس نظرية ، وفرق بينهما ، فالمنهج أصل ثابت متصل بالكون والحياة والانســان من خلال الوحى والفطرة • اما النظريات فهى من صناعة العقل البشرى •

ولقد ذاعت نظريات كثيرة ولمعت ، ولكنها عجزت عن العطاء الحقيقىّ للنفس الانســانية والعقل البشرى فى آن ، ولذلك فهى سرعان ما تصدعت وبان بمرور الزمن فســادها ، وقد حاول أهلها ادخال اصلاحات وتعديلات كثيرة عليها • وبذلك انكشف للناس الفارق الكبير بينها وبين مناهج القرآن الثابتة ثبوت الفطرة المرنة مرونة حركة الانسان ، القادرة على اعطائه مطامحه البشرية وأشواقه الروحية فى آن ، فهى قائمة على أساس الفطرة الانســانية التى لا تتغير فى أصولها ، والتى تستطيع اســتيعاب كل تغير وتطور وتجديــد ، دون أن تفقد أصالتها وضوابطها •

ولقد جعل الاسلام قاعدته الأصيلة ، الاعتقاد بوجود الله الواحد الأحــد الذى لا يتغير بتغير الزمــان أو المكان ، وهو

الحقيقة الواحدة التى لا يأيتها الباطل من قريب ولا بعيد مهما تحداها الناس بالانكار والنفى •

لقد دعا الاسلام الى وحدانية منزهة لاشائبة فيها ولم يلجأ فى اثبات هذه الدعوة الى خوارق العـادات أو القوارع التى تخرس الألسـنة ، بل الى الدليل والبرهان عن طريق العقل والوجدان والنظر فى الكون •

الدين فطرة انسانية أصيلة :

ليس الدين مرحلة فى حياة الأمم : وليس صحيحا أن الأمم قـد تجاوزت مرحلة الدين أو أن الدور الذى احتاجت فيه البشرية الى الدين قد انتهى ، والواقع أن الدين فطرة انسانية أصيلة وليس مرحلة فى حياة الأمم أوفى حياة البشرية ، بل هو كيان عضوى فى تركيب الانسان ، متصل بعقله وروحه وحياته ، لا سبيل الى انفصاله أو انتزاعه ، فاذا جاءت موجة من موجات الفكر البشرى لتضع بين النفس الانسانية وبين الدين ستارا أو حجابا ، وجدت البشرية نفسها فى دوامة من التمزق والضياع والاحساس العميق بغيبة شىء لاسبيل الى الحياة بدونه •

ولذلك فان القـائلين بأن الدين ليس مصـدرا من مصادر التوجيه ينكرون الفطرة ويتجاهلون شـطرا كبيرا من طبائع الأشياء والنفوس •

والبشرية لم تكن يوما من الأيام قادرة على حماية نفسها

من المطامع والحروب والصراع ـ حتى بعد أن أحرزت مفاتيح العلوم وعرفت سنن الطبيعة ، بل لعلها لم تكن فى يوم من الأيام أشد منها فى هذه الأيام صراعا واندفاعا واستعدادا ، والانسان هو الانسان مهما تقدم فى مضمار السبق العلمى ، وما لم تتقدم مفاهيمه النفسية والروحية فتعلو به عن الهوى والمادة والمطامع ، فهو يستعمل كل ما أحرزه من تقدم فى سبيل الشر ولن يكون الانسان آمنا على نفسه ومجتمعه الا اذا كان مؤمنا بالله ملتزما منهاجه متحركا داخل اطاره ٠

الدِّينُ الإِسْلَامِي أُسْلُوبُ حَيَاة

ما من دين استطاع أن يوحى الى المتدينين به شعورا بالعزة أو الكرامة كالشـــعور الذى يخامر المســلم من غــير تكلف ولا اصطناع ، ذلك لأن الاسلام ليس دينا تعبديا فقط ولكنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهرا وباطنا ، فهو يسمو على أن يكون مجرد فكرة يناقشها أو نظرية يتأملها •

وما من دين استطاع أن يقدم للمؤمنين به سكينة النفس وطمأنينة القلب ، ويحجب عنه الانحراف والاضطراب والتمزق والضياع وتلك أبلغ مطالب الانسان وأقوى تطلعاته ، بل ان رفاهية الانسان الحقة هى فى ايمانه وسكينته وطمأنينة قلبه ، وكرامته المثلى فى أن يكون زاكيا فوق مطالب الأديان ودوافع الغرائز ، واذا كان هذا هدف الحضارة الحقة وأمل البشرية الأكبر فانه لن يتحقق الا بالدين والايمان واليقين ، وكل سبب من أسباب الطمأنينة والأمن والرضى منتزع من الانسان بانتزاع نفسه من الدين •

ولقد آن للبشرية أن تعلم أن هذه المناهج المبثوثة لن تحقق لها شيئا مما ترجو من سكينة النفس أو سعادة الحياة ، ولاسبيل

لها الى هذا الهدف وهو أغلى الأهــداف الا بأن تلتمس المنهج الربانى الذى رسمه لها الله ، صانع الانسان والحياة فهو وحده السبيل الذى سيحقق لها طمأنينة القلب وهناءة الحياة ولتجربه كما جربت •

دور الايمان فى حياة الانسان :

ليس غير الايمان بالله بلسم الروح ، أو شـفاء الصدر ، أو ترياق لأمراض القلق والحيرة والشك والارتياب ، وكيف يمكن أن يكون الانســان قادرا على مواجهة شــدائد الحياة بشجاعة وصبر دون الايمان بالله •

عندما يتمثل الانسان ربه الخالق المدبر المحيط بالأمر كله تمتلىء نفسه بالاطمئنان لكل ما يقع فى حياته فلا يستسلم لليأس ، ومن ثم يتجــدد أمله كلما أخفق لجولة أخرى فيها النصر والفوز ، فاذا عرف أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، قوى أمله المتجدد وزاد فى كفاحه وسعد •

والمســلم دائما فى موقف الرضا والأمل فى حالة العسر واليسر ، ولا تذهب نفسه مذهب التشاؤم ، لأنه يؤمن برحمة الله أولا وعدله ثانيا ، وانه لا تزر وازرة وزر أخرى ، أما فى الغرب فان التشاؤم ظاهرة أساسية للنفس مصدرها عقيدة الخطيئة الأصــلية وعدم اقناع العقل وقبــول الفطرة لوراثة البشر خطيئة لم يرتكبوها ، ولقد ساد الغرب طابع الوجدان المتشائم نتيجة هذه القضية وظهرت آثارها القوية على الآداب والفنون والفلسفة والأخلاق ، وهى التى وصلت بهم الى فكرة اللامعقول والعبث ، وتعد الوجودية أعلى مراتب التشاؤم •

القيم التى فرضها الاسلام :

ان الاسلام فوق كونه دينا كسائر الأديان فهو حركة اجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والمجتمع والأخلاق والدولة ، ان ميزة الاسلام أن نظرته كلية شاملة فهو لم يجزىء الحياة ، بل نظر اليها نظرة كاملة على أنها متصلة الأواحد مترابطة الأطراف ، والقرآن كتاب الله ومصدر النظرة الاسلامية •

ولقد جعل الاسلام للقيم سلما وأوليات وحصصا ، وجعل ترتيب هذه القيم حسب أهميتها ، هذه الأوليات والنسب تظل ثابتة ، فاذا تغيرت فسدت المجتمعات وأصابها الاضطراب فلقد جعل التوحيد والعمل والجهاد والزكاة والعبادة فى مقدمة سلم القيم ، وجعل للجسم والمال والزينة والمتاع حصصا أيضا فلم يغفلها ولكنه وضع لها مقاديرها وضوابطها . فاذا ذهبنا تقدم الرغبات والأهواء ضعفت نسبة الأعمال الكبرى وقل قدرها ، وهنا تحدث الأزمات أزمات النفس والمجتمع ، فاذا عاد المسلمون الى سلم القيم مرة أخرى عادت اليهم القوة والكفاءة •

وان من أبرز حقائق الاسلام أنه لا يفرق بين الناس على أساس العنصر أو العرق ، ويقر التفاضل على أساس العمل والسلوك ، ولا يعرف الاسلام الرهبانية او الترف ولا يرفع الانسان عن مستواه البشرى ويفرق بين الألوهية والنبوة وهو يربط بين الدين والدولة ، والدين والعلم ، والدين والأخلاق •

ان أخطر ما يواجه الفكر الاسلامى هو محاولة تجزئته

أو فرض مفهوم الانشطارية الغربى عليه ، ولقد جاء الاسلام حاكما على المدنيات والأمم ولم يجىء محكوما ، وهو ليس مطية للدعوات والمذاهب بل له مقوماته الأصيلة وأحكامه المستقلة وذاتيته الخاصة .

موقف الاسلام من القوتين (المادية ، والروحية) :

غالت بعض الأديان فى تقدير القوة المادية ، وغالت بعض الأديان فى تقدير القوة الروحية ، أما الاسلام فقد وازن بين الناحيتين على أساس أن كلا منهما عنصر أساسى فى الطبيعة البشرية لاغنى عنه لتقدم الانسان ولقد تقرر أن القوة المادية أو القوة الروحية ليست خيرا أو شرا فى حد ذاتها بل فى طريقة استعمال الانسان لها . وتأثيرها النهائى انما يتحدد بالهدف الذى تستخدم له فاذا ما استخدمت لاسعاد الناس وتقدمهم ماديا وروحيا كان رحمة ، واذا استخدمت لاستعباد الناس واذلالهم كانت نقمة ، وهنا تأتى أهمية الدور الذى يؤديه الدين حيث تكون مهمته توجيه الطاقات كلها الى الخير والى الاخاء الانسانى .

كيف عالج الاسلام الانسان :

وقف الاسلام أمام الانسان موقفا متميزا ، مخالفا لموقف الفلسفات والعقائد ، وقد أقام الاسلام هذا الموقف على

أساس تكريم الانسان بوصفه موضع الاستخلاف فى الأرض والنظر اليه من خلال طبيعته الأصلية الجامعة بين الروح والجسم ، والعقل والقلب ، وبوصفه كيانا متكاملا ، وبذلك أقر برغباته المادية كلها وأباحها له دون أن يقيدها الا بضوابط قصد بها حماية الانسان نفسه من الانهيار والتدمير ، وحتى يكون قادرا على أداء رسالته ومواجهة تحديات عصره دون أن يضعف أو يتحطم ٠

وجعل سعيه فى الحياة الدنيا مرتبطا بالجزاء فى الآخرة ، وأعطاه المسئولية الفردية والالتزام الخلقى لكى يواجه العالم من منطلق الكرامة ، وجعل مسيرته كلها خالصة لله ٠ فالانسان فى مفهوم الاسلام ، روح وعقل وجسد ونفس ، وكل التفسيرات التى تتناوله من جانب واحد هو جانب الجسد كالمادية الغربية ، أو جانب الروح كالمذاهب الشرقية كلاهما خاطىء ، كذلك تفسير حياته وتاريخه من مصدر واحد هو الطعام أو الجنس أو البيئة هو تفسير انشطارى فاسد لا يصل الى الحقيقة ، وليس هناك منهج متكامل لفهم الانسان فى العبادة كلها سوى منهج الاسلام والانسان فى مفهوم الانسان ثابت الجوهر متغير الصورة ، ولا يرفع الاسلام الانسان عن مستواه كمستخلف فى الأرض ولا يخفضه عن مكانته ، فالكائن الانسانى كل متسق فى حياته بأبعادها الثلاثة : الجسدية والنفسية والاجتماعية فى كل أزمة يصاب بها لابد أن تكون النظرة شاملة لهذه الجوانب ، دون فصل بينها ٠

الفكر الذى يبغضه الاسلام :

الاسلوب الذى قدمه القرآن للمعرفة هو الأسلوب العميق الفطرى ، المتصل بالقلوب والعقول والأرواح والعواطف ، هو الطريق الذى أقنع راعى الابل والصياد واجتذب الطفل والمرأة والمثقف والجاهل بعيدا عن التعقيدات المنطقية والعقلية ، وهو طريق الأنبياء وهو أصح طريق للاجيال المتجددة وهو أصح وأسلم وأعمق أثرا من أساليب الفلاسـفة والمعتزلة والصوفية على السواء لأنه منهج القرآن .

لقول الامام الغزالى : (ان أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انســان وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الاكثرون بل أدلة القرآن كالمــاء الذى ينتفع به الصبى الرضيع والرجل القوى ، وسائر الادلة كالاطعمة التى ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها مرة أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصــلا) .

ولقد جاء الاسلام بفكرة رئيسية فى المعرفة : هى فكرة الحق، فى كل شىء فيما يتعلق بالكلام عن الله وعن أساس الحكم على الأشياء ، وجاء يحارب التقليد والجمود ، ويحارب الرأى القائم على الظن والحكم القائم على الهوى ، ويطالب بالدليل والبرهان

الاسلام منهج ثابت .

الاسلام منهج وليس نظرية ، منهج متكامل يستهدف تحقيق اقامة المجتمع البشرى ، الربانى المصدر ، الانسانى الاتجاه ،

وما يزال ارتباط الاسلام بمنابعه الأصيلة من القرآن والسنة ، ونصه الموثق هو العامل الأول والأكبر الذى يحول دون سقوطه فى هوة الانحراف ، وهو الذى يعطيه القدرة الدائمة على اعادة تشكيل نفسه بعد الأزمات وفى مواجهة التحديات •

ان محاولة وضع الاسلام تحت ضوء المناهج العصرية المتحدة من الفكر المادى من شـأنه أن يحجب حقيقة أبعاده • ولقد عجز علم الأديان المقارن عن تحليل الاسلام كما فعل مع بقية الأديان ، ذلك لأنه أسقط أهم معـالم هذا الدين وهو الوحى والنبوة وعالم الغيب •

فالاسلام الذى هو ليس من صنع البشر وليس كتابه من عمل البشر والذى يختلف عن المـذاهب والنظريات الخاضـعة لأهواء البشر والذى يستمد أصالته من مصدره الربانى ويتجاوب مع الفطرة والعقل والعلم ويوازى الطبيعة البشرية ولا يناقضها لعجز أدوات العصر عن استيعابه الا اذا درسـته من خلال مناهجه هو •

ان للاسلام ذاتيته ومقاييسـه الخاصة ، ومفاهيمه تنبعث من أصول ثابتة هى الوحى والفطرة والعقل بينما تنبعث مفاهيم الفلسفات من الفروض التى تبدأ بالظن وتبنى على القرائن ، ومفهوم الاسـلام يقرران لكل قيمة من القيم وجهيها المادى والمعنوى لا انفصال بينهما ، بينما تقرر الفلسفات وجها واحدا اما ماديا أو معنويا ، فقد عجزت عن التكامل وقبلت بالانشطارية

ان الله تبارك وتعالى قد اختار لهذه البشرية فى ختامها ثلاثة

أمور : الاسلام دينا ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ، والقرآن كتابا ، واختار اللغة العربية لغة القرآن : لغة لأهل الجنة • وأنه حقق ثلاث ظواهر هامة : أولاها هيمنة القرآن على كل ما سبقه من كتب السماء وثانيها وراثة الاسلام والنبى محمد لتراث النبوة كله وميراث ابراهيم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وثالثها : اظهار الاسلام على الدين كله •

ان مفهوم الدين فى نظر الغرب هو اقامة العلاقة بين الانسان والله ، وحسب ، دون أن يكون للدين صلة باقامة العلاقة بين الانسان والمجتمع فى شئون الاقتصاد أو السياسة أو القانون أو التربية • وللغرب فى هذا الفهم للدين أسباب خاصة به ، وعوامل وظروف تاريخية تتصل بالدين وبالتفسير الغربى للدين ، ومدى ارتباط ذلك كله بالفكر اليونانى والقانون الرومانى والحضارة السائدة اذ ذاك فقد دخل الدين على أوربا وهى مشكلة تماما • مجتمعا وحضارة فأقتصر تأثيره على مجال الروح والأخلاق ، أما بالنسبة للاسلام فالأمر يختلف ، فقد شكل الاسلام مجتمعا من اللبنة الأولى على مفاهيمه وقيمه ومقاصده واذا قال الغرب بفصل الدين عن السياسة ، أو عن المجتمع ، أو عن الأخلاق ، أو عن الاقتصاد فذلك شأنه ، وهو أمر متصل بتاريخه وظروفه • أما الاسلام فليس مفصولا عن ذلك كله بل مرتبط به فقد أقام البناء كله على أساس التكامل والوحدة •

لقد رفع الاسلام راية العقل والعلم والتجريب وحملها الى العالم كله ، وكانت أوربا قبل الاسلام تعيش على الرهبانية والفكر النظرى المتصل بالسحر والأسطورة ، فكان الاسلام هو مصدر الانتقال من عالم النظر والتأمل الى عالم التجريب •

الاسلام دعوة الى التحرر :

ان أول الجهاد الدفاع عن روح الاسلام فى بلاده ، ذلك أن روح الاسلام اذا ضعفت فى المسلمين فلن يستطيعوا أن يحملوا أمانته الى العالمين ، ولا أن يحتملوا فى سبيل تبليغه كل فتنة ومحنة ومشقة .

ولذلك فقد كانت دعوة الاسلام الأولى الى التحرر من التبعية ومعارضة التقليد للاجنبى حتى لا يذوب المسلمون فى كيان الأمم ، بينما جاءوا ليحملوا للبشرية فكرا جديدا تختلف عن الفكر البشرى وربما يتعارض كثير من قيمه ومقولاته . ذلك انهم حملة رسالة التوحيد الخالص للعالمين ، وللتوحيد شارة واضحة قادرة على مواجهة كل الاشارات والنظريات بالرأى الواضح الصحيح .

ولذلك ، ولكى تكون هناك أمة قائمة بالحق الى قيام الساعة حذر الاسلام المسلمين من التشبه بغيرهم وحرص على أن تظل شخصية المسلم وفكره وحضارته ومجتمعه متميزة ، ومن أجل ذلك أعلن حربا لاهوادة فيها على التقليد وعلى التبعية « من تشبه بقوم فهو منهم » ودعا الى اعلان التمييز فى القيم والأخلاق والمثل ولا ريب أن التقليد فقدان للشخصية ، والتبعية عبودية للفكر والعقل ، ولا ريب أن آفة الضعيف هى تقليد القوى ، ولا يجرى التقليد الا فى جوانب الضعف والهدم والانحلال وتتركز دائما على الانهماك فى اللذات والتخلى عن القوة أو التماسك أو الصمود .

ولا يمنع هذا الموقف من مراجعة كل ما تقدمه الأمم والأخذ بالصالح منه والانتفاع به على أن يكون المسلمون قادرين على تجاوز العناصر التى تدمر شخصيتهم وقيمهم وذاتيتهم •

ولذلك فان الدعوة التى تدعونا الى تقليد الغرب ومتابعته فى مظاهر الاجتماع والأخلاق هى دعوة تتعارض مع الأصالة ، والفطرة ، ومع طبيعة النفس الاسلامية ومزاجها الذى شكله الاسلام ، ولاريب أن الظن بأن تلك التبعية تلحقنا بركبهم هى خطأ شائع ، ونصيحة ماكر ، ودعوة ضالة •

الاسلام وحرية البحث :

سوف يعجز العلم عن القضاء على الدين ، بل ان الحقيقة المرتقبة هو أن يؤكد العلم الدين ويعمل فى اطاره • فالاسلام يقرر الاطار الأخلاقى للحياة ، ويرسم منه العلاقات المثلى بين الانسان والانسان ، ويجعل العلم لذلك فى خدمة البشرية لا فى تهديدها وتدميرها لخدمة جماعة من المتسلطين •

ولا ريب أن الاسلام هو الذى أقام للعلم منهجه أصلا ومنطلقه أولا نتيجة حرية البحث وتسامح النفس وسلامة القصد ، فمهد ذلك كله لظهور المنهج التجريبى ، والعلم اليوم بالرغم مما تحوطه من مظاهر المادية وتضطرب حوله من انحرافات الفلاسفة ، فانه قد خطا خطوات واسعة نحو اقرار الايمان بالله والكشف عن عظمة الخالق ، والاعتراف بعالم الغيب ، وهو ما زال يعمل على تحرير نفسه من مفاهيم الفلسفات المادية والجبرية •

ونحن كمسلمين نؤمن بأن أى حديث عن الصراع بين العلم والدين ، فهو ليس عن ديننا ، ولا يتصل بتاريخنا ، وهو لمحيط غير محيطنا ، فان تاريخنا كله لم يعرف هذه التحديات ولا ذلك الصراع الذى يحاولون نقله الآن الى أفق الفكر الاسلامى وهو منه براء •

ويكشف مدى صلة الاسلام بالعلم أن مادة (علم) وردت فى القرآن ٨٦٠ مرة وأن أول كلمة نزلت على النبى من القرآن هى « اقرأ » وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم ومايسطرون وقد أطلقت كلمة العلم فى الاسلام فلم تنحصر فى علم ما ، أو فى نوع معين •

ونحن نعلم أن ما وصل اليه الانسان بعلمه عن هذا الكون هو قليل وأن هذا الذى علمه لا يستطيع أن يفسر له سر الكون أو الحياة ، وان العلم على الرغم من غروره تواضع ، فأقر بأن مهمته هى تفسير ظواهر الأشياء •

ومن أبرز مفاهيم الاسلام التى تميزه تميزا واضحا عن الفكر البشرى أنه :

(أولا) : فصل بين الله والعالم (ثانيا) : فصل بين الألوهية والنبوة (ثالثا) : أنه قرر استحالة أن يرقى الانسان الى مرتبة الألوهية (رابعا) : ألغى الوساطة بين الله والانسان (خامسا) : أنكر سقوط التكاليف الشرعية عن أى انسان مهما بلغ قدره من الايمان •

كذلك اسقط الاسلام نظريتين باطلتين : الأولى : الادعاء بأن الناس كانوا وثنيين فى الأصل ثم عرفوا التوحيد ، والأخرى أن الدين ينتشر بالظروف المادية أو العوامل الاقتصادية .

والخلاف فى الفرعيات أمر ضرورى لابــد منه ، فأصول الاسلام من آيات قرآنية وأحاديث نبويـــة تختلف فى فهمها وتصورها العقول والأفهام وليس هذا الاختلاف عيبا ، انما العيب فى التعصب للرأى الزائف اذا ظهر الحق ، أو الحجر على عقول الناس وآرائهم حتى لا ترى الحقيقة واضحة .

وقد جمع الاسلام بين مايظن أنه متناقض فى الفكر المادى أو الوثنى :

جمع بين الأرض والسماء فى نظام الكون ، وجمع بين الدنيا والآخرة فى نظام الدين وجمع بين الروح والجســد فى نظام الانســان وجمع بين العبادة والعمل فى نظام الحياة وســلكها جميعها فى نظام موحد هو الطريق الى الله .

تتفق مختلف الثقافات والأمم على أسماء القيم الانسانية ولكنها تختلف فى تفسيرها ، فالحرية والعدل والأخلاق والمعرفة والسلام والحرب ، كل هذه المفاهيم تجد لها فى كل فكر وأمة ومذهب ، مفهوما متميزا . أما الاسلام فانه يقرر فى ذلك أصفى وجهة نظر ، وأصدق رأى ، مستمدا ذلك من الفطرة الانســانية الصافية ، وتكامل النظرة الجــامعة ، وبذلك بنى الاسلام منهجا مستقلا له طابعه الربانى المستمد من الوحى والنبوة ، والقائم على أســاس الاخاء الانســانى والمسئولية

الفردية ، والجزاء الأخروى ، بعيدا عن الاكراه فى الدين ، أو العنصرية ، أو الوثنية ، أو المادية ، أو الاباحية ، فأنشأ بذلك الأمة المختارة بالايمان والتوحيد .

وان أبرز مظاهر أصالة الاسلام اما تتمثل فى أنه يرفض كل عنصر غريب عليه ، ومن هنا تخطىء النظرية التى تقول بتطوير الدين ، ولا تنطبق على الاسلام أساسا . فالاسلام له ذاتيته الخاصة القائمة على دعائم من الثبات لها ما يكفل استمرار العطاء والرقابة والتوجيه ، مع السماح بالحركة من داخل الاطار العام الواسع المرن ، وسماحة التغيير فى الفروع ، فهى قادرة على الامتصاص ولكنها ليست أهلا للاحتواء ، وما زال الفكر الاسلامى الأصيل يقاوم دون أن يستسلم وهو آخر الحصون الصامدة فى وجه الغزو .

الإسلام والجنس

نظر الاسلام الى الجنس نظرة مستمدة من الفطرة ، وحرره من تعقيدات الرهبنة والرياضيات القاسية ، وأعلن أن الرغبات من طبيعة الانسان التى لا سبيل الى الوقوف فى وجهها ، ولكنه حررها من الاسراف والافساد ، ووضع لها ضوابط من الحلال والاعتدال والعفة • ولذلك فقد عجزت أزمة الجنس أن تجد لهـا مجالا فى محيط الاسلام لأنهـا لم توجد أصلا ، وقد وجدت فى العقائد والفلسفات الأخرى التى وقفت أمامها موقف المعـارضة والتحـدى ، أو موقف الاستسلام والاطلاق بغير حـدود ، وفى الغرب انتقلت الدعوة من القسر الشـديد الى الاطلاق الشديد ، أما الاسلام فانه أعلن وجود الرغبات فى الانسـان من مال وطعـام وجنس ولكنه وضعها فى اطارها الصحيح ، ولم يجعل الطعام قضية تفوق القضايا ، أو تسيطر عليهـا كما فعل ماركس ، ولم يجعل الجنس قضية القضـايا كما فعل فرويد ، ولكنه جعل الحياة متكاملة فى عناصرها متوائمة فى رغباتها وحدودها بعيدا عن الزهاوة والشرف أو الرهبانية والتملل أو الاطلاق والكبت •

ومفهوم الاسلام فى الرغبـات يرتبط بالقدرة ويقوم على

التسامى والاعلاء فى حـــالة عدم القــدرة دون أن تفقد هذه الرغبات حقها المعترف بها فى حالة الاستطاعة ؛ والى جوار ذلك أقام الاسلام نظام الطهارة الجسدية والنفسية ، وأباح المصادر الشريفـــة فى المـــال والطعـــام والجنس ، كما أباح ظروف الاضطرار وعفا عنها .

الاسلام والعلم :

فرق الاسلام بين العلم النافع والعلم الزائد عن الحاجة .

ودعا المسلمين الى أن يأخذوا من كل علم بما هو أحســـنه ودعا المسلمين الى أن يتبعوا أحسن ما أنزل اليهم من ربهم ، والعلم كثير كما قال الرسول : « فخذوا من كل شيء أحسنه » ، فى اطار الجهاد ورفض التقليد والبحث عن البرهان وتقديم الدليل وتغيير الرأى دون جرح متى يتعين أن غيره أصح منه .

وأبرز مفاهيم الأساس فى هذا : الوضوح الصـــادق حيث لا تأويل ولا كنـــاية ولا غمغمة ، وحيث لا يحمل اللفظ أكثر مما يطيق ، أو يؤدى أكثر من معنى وحيث الحق حق ، والباطل باطل ، وحيث أن الأمر اما أن يكون حقا واما أن يكون باطلا ولا وسط ، ولا يكون الشيء فى وقت واحد حقا وباطلا ولقد هاجم الاسلام الخرافات والسحر والكهانة ، وأنكر العرافين والعرافة ، وطارد الأوهام والمعتقدات الباطلة وأنكر ادعاء علم الغيب واعتبر الســـحر كفرا ، وحرص على أن يرتفع المسلم بايمانه عن الضعف البشرى الذى يجعله ألعوبة فى يد أوهام المنجمين وأضاليل العرافين .

كما حرر الاسلام أهله من دوامة البحث وراء الطبيعة أو عالم الغيب فقدم له منهجا متكاملا ، وذلك حتى يفرغ الانسان لمهمته فى بناء الحياة وتعميرها ، وتحقيق العدل والاخاء الانسانى ، والعالم فى مفهوم الاسلام ليس قديما ولكنه حادث، وليس سرقة ولكنه ينتهى بأجل مسمى ، خلقه الله قادر مستقل عن العالم •

وأن نواميس الكون هى من وضع الله سبحانه وتعالى ، وأنه هو وحده الذى يستطيع أن يخرق هذه النواميس وهو المحيط بالعوامل التى تخفى على البشر فى تقدير الأمور •

ان هناك خلافا واضحا بين المفاهيم الانسانية والعلوم التجريبية

ومن أجل ذلك فانهما لا يمكن أن يخضعا لمنهج واحد فى المعرفة أو التفسير ، هذا الاختلاف يرجع الى المفاهيم التى ترتبط بالانسان من حيث مشاعره وعواطفه هى أمور يصعب اخضاعها للقوانين التى أخضعت لها الظواهر الطبيعية ، هذا فضلا عن أن التجربة التى تلعب دورا رئيسيا فى كشف القوانين الطبيعية يتعذر تطبيقها فى مجال المفاهيم الانسانية بحيث لا يمكن اقامة منهج البحث على أساسها •

واذا كانت القوانين الطبيعية تصدق فى كثير من أحوال المادة فانها لا تستطيع أن تحقق شيئا ما بالنسبة للمفاهيم الانسانية وخلجات النفوس وعواطف الانسان التى غير خاضعة للتجريب ، والتى تحكمها عوامل عديدة من العسير حصرها أو السيطرة عليها •

واذا كانت العلوم التجربية محدودة بالمقاييس والموازين المضبوطة فانه من العسير أن تتحرر المفاهيم الانسانية من الأهواء والميول والمصالح •

فالبحث فيما يتصل بالانسان انما يتصل بعقائد وثقافات وتقاليد من شأنها أن تحول دون التقديرات العلمية الصحيحة ، ومن هنا يتبين أن المفاهيم الانسانية لا يمكن اخضاعها لمثل ما تخضع له القوانين الطبيعية •

الفكر الاسلامى والفلسفات الغربية :

حاولت بعض الفلسفات الغربية أن تقول بأن الدين مرحلة فى حياة الأمم ، وأن الأمم قد تجاوزت هذه المرحلة ، وأن الدور الذى احتاجت فيه البشرية الى الدين قد انتهى ، وأن البشرية أصبحت راشدة بالعلم وليست فى حاجة الى وصاية الدين ، ومن الحق أن نقول : ان هذا القول لا يمثل الحقيقة ، فان أمرا ما لم يجد على البشرية يعطيها رشدها حتى يمكن أن تتحرر من الدين ، فاذا قبل العلم والتكتولوجيا فانهما لم يعطيا النفس الانسانية شيئا لا من اليقين ولا من الايمان ولا من السعادة المرتجاة ، وانما أعطياها القلق ، لأنهما حين تقدمت فى هذا المجال تجمدت وتحجرت فى المجال الآخر : المجال النفسى والروحى والمعنوى ، وآية التقدم أن يكون جامعا وشاملا ، واذا كان الغربيون يرون أن دينهم لا يعطيهم ، فان الأمر يختلف بالنسبة للمسلمين ، فما زال الدين عنصرا أصيلا فى حياتهم ، وما زال معطيا للنفس الانسانية والعقل الانسانى على النحو

الذى يكذب بكل دليل مرحلية الدين ، والواقع أن الدين فطرة من فطر النفس ، فهو جزء من التكوين البشرى ، وأن صلته بالانسان والحياة صلة جذرية ، فهو ليس مرحلة ولكنه استمرار ممتد فى كيان الانسان : عقله وروحه وحياته ، لا سبيل الى الانفصال عنه أو انتزاعه ، ولذلك فان الدين لم يمت ولن يموت، وان الفكر الغربى حين يدعى أنه تجاوز الدين — بمعناه الحق — فانه قد تجـاوز به اليقين والسكينة ودخل فى أشـد أزماته وأخطرهـا •

ان منهج البحث لأى فكر — أو ما يطلقون عليه (الأرجانون) — انما يستند الى خصائص اللغة ، ولكل لغة منهاجها الفكرى القائم على معانيها ومضامنها ، ومن العسير أن يقوم منهج البحث فى فكر أمة على غير خصـائصها اللغوية ، ولذلك فقد هاجم المسلمون المنهج الأرسطى حيث انه مستند الى خصائص اللغة اليونانية ، ومن هنا يبدو عجزه عن الأداء فى مجال لغة أخرى لهـا خصـائصها : هى اللغة العربيـة ، كذلك الأمر بالنسبة للنهج الغربى الوافد ، المتصل بخصـائص اللغـات الانجليزية والفرنسية فانه يواجه نفس العجز فى مجال اللغة العربية ، ذلك أن الفكر الاسلامى له منهج البحث الخاص به المستمد من اللغة العربية التى نزل بها القرآن •

ولقد أشار الامام الشافعى الى هذا الخطر حين قال : ما جهل النـاس ولا اختلفوا الا لتركهم لسـان العرب وميلهم الى لسـان أرسطو •

فعلى المثقفين العـرب أن يفكروا بلغتهم وأن يتحركوا من

داخلهم ، وأن يتجـــاوزوا تلك الحواجز التى تفرض عليهم أن يظلوا فى دائرة الفكر الغربى الذى يقاسى اليوم اشد أزماته ، ويصارع أقسى تحدياته ، ذلك ان محاولة فرض المنهج الغربى الوافد اليوم على المسلمين بهذه التجاوزات العميقة والاختلافات الواسعة التى تفصل بينه وبين المنهج الاسلامى ، هى محاولة لتدمير عقلية الشعوب الاسلامية وأسلوب تفكيرها ونظرتها الى الأشـــياء ووضـــعها فى دائرة الغرب لتفقـــد ميزتها الأصيلة والأساسية وطابعها الذاتى فتصبح تابعة تدور فى ذلك الفلك المنهـــار .

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

أبرز معالم الاسلام التكامل : بين العقيدة والشريعة والأخلاق ، وتقوم دعوته على الاقتناع دون الالزام ــ فلا اكراه فى الدين ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء أن لا يؤمن فهو صاحب الارادة فيما اختار لنفسه ، وفى نفس الوقت لا يحمل الاسلام الانسان تبعة ليست من صنعه ، فلا تزر وازرة وزر أخرى ، فليس الانسان مسئولا عن خطيئة أحد ، وليس هناك خطيئة ما لأحد من خلق الله يمكن أن تنسحب على الناس جميعا أو البشرية كلها ، بل ناط الاسلام بكل انسان تبعة أعماله وتصرفاته ، وأقام حرية الاختيار ، وقرر أن الأصل فى الانسان الخير على خلاف ما تقول بعض العقائد ، من أن الانسان خلق خاطئا أو كان فى أول أمره دنسا ، أما القرآن فيقرر أن الانسان خلق طاهرا وخلق تاما ، وليس فى الاسلام خطيئة موروثة لها نفوذها على الانسان قبل ولادته وخلال حياته وتحتاج الى التوبة أو الكفارة .

يقول جوستاف جرويتاوم : ان الانسان الاسلامى على خلاف غيره ، لا ينوء تحت وطأة الخطيئة الأصلية التى تحكم عليه وعلى نفسه بالسوء والفساد .

ولا يقر الاسلام استقلالية الأخلاق عن دائرة الدين ويلزمها بالحركة داخل اطاره ، كذلك لا يقر نسبية الأخلاق ، ويرى أن القيم الأساسية ثابتة ثبوت الكيان الانسانى نفسه الذى يجمع بين الروح والمادة والقلب والعقل .

المسئولية والجزاء فى الاسلام :

قرر الاسلام المسئولية الفردية مع حرية الارادة للانسان ، وقرر فى مقابلها الجزاء الأخروى عن العمل : فالدنيا دار تجربة ، والانسان له رسالة وعليه مسئولية ، والآخرة دار جزاء . ولابد لذلك من بعث بعد الموت .

وليس فهم الحياة بوصفها معبرا الى الآخرة مما ينقص من هدف بنائها والسعى فيها وتحسينها ، ذلك أن المسلم مطالب أن يعيش فى الحياة معيشة العزة والكرامة ، وأن يكون قادرا على تبليغ كلمة الله الى العالمين ، ولا ريب أن الانسان بمسئوليته ورسالته والتزامه أشد قوة على مواجهة الحياة وقدرة على العمل بها من الذين لا يرون للحياة هدفا ، والذين يرونها صدفة ، وهم الذين تتحطم نفسياتهم تحت تأثير التمزق والقلق والعبث واللامعقول .

لقد دعا الاسلام الى العمل والاقتحام ثم الرضا بقضاء الله فى النتائج ، فالانسان يحمل تبعة عمله ويطلب العون من الله ، فاذا أخطأ كان عليه أثر خطئه ، وعليه أن يعاود النظر فى الوسائل ويعاود الكرة ولا ييئس فالمؤمن لا ييئس من روح الله .

رَسُولُ الإِسْلَامِ المَثَلُ الكَامِلُ

الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان ولايزال وسيظل النموذج الاسمى والمثل الكامل ، فى تصرفاته وشمائله وأعماله ، الذى يقتدى به المسلمون ، فهو الأسوة الحسنة ، وهو الرسول الانسان الجامع بين عطاء الوحى وقدرة البشر ، وسيظل عمله وخلقه وتصرفه مثلا قائما وقدوة دائمة عبر العصور أمام جميع المجاهدين والمصلحين ، وملهما للأبطال والقادة . ولقد كان حب المسلمين ــ ولا يزال ــ لرسولهم حبا عمليا ، لأنه ارتبط بالقدوة والمتابعة من ناحية ، والايمان بالله سبحانه وتعالى صاحب الأمر كله أساسا ، والمسلمون يفرقون تماما بين قدرة الله المطلقة العالية والايمان به وحده ، والتماس القصد منه ، وبين النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذى هو النموذج الأعلى للبشرية ، ولذلك فقد واجه المسلمون اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى بيقين كامل وفهم واضح أنه بشر يجرى عليه ما يجرى على البشر ، وتعمل أحكام الاسلام على ادامة وضوح الفهم والتفرقة بين الألوهية والنبوة ، واجتماع الوحى والبشرية للنبى والرسول ، فهو وحده المعصوم ، أما البشر فانهم بعد ذلك ليسوا الا بشرا وليست

لهم خصائص النبوة أو الألوهية قطعا - وان أبرز ما فى الإسلام وضوح سيرة النبى وضوحا كاملا ، فالمسلمون يعرفون دقائق حياته ، ووقائع أعماله ، ونصوص كلماته ، على نحو كامل ، وقد وثقت هذه النصوص على مدى الأزمان بحيث لا يدخلها الشك أو الريب ، ومن ثم فانهم يجمعون الى النص الموثق المنزل وهو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يجمعون اليه السنة المطهرة والسيرة الكريمة نبراسا تطبيقيا للقرآن ، تمثله فى ذلك النموذج الكامل للبشر : محمد صلى الله عليه وسلم .

الاسلام يعالج النفوس الحائرة :

ان أزمة البشرية اليوم هى أزمة الانفس الانسانية الحائرة التى ظنت أن معطيات المادة تستطيع أن تقدم لها الطمأنينة والسعادة والنعماء . ذلك لأن المفهوم البشرى المسيطر فى عالم الفكر والحياة هو مفهوم جزئى انشطارى مادى يحكم الأشياء كلها بروح المادة ويرى أن يفصل فيها ، ومن ثم تقلصت مسائل النفس والروح والمعنويات والدين ، وهنا نشأت تلك الحيرة الهائلة التى تجتاح النفوس بالتمزق والتحلل والضياع ، ذلك أن مفهوم التقدم العلمى قد حاول أن يحجب الانسان عن يد الله القادرة وراء كل القوى والأمور ، ظنا بأن قوانين المادة التى اهتدى اليها الانسان هى وحدها التى تحرك الأمور ، كذلك فقد ظن الانسان أن السعى والعمل وحده كفيل بأن يحقق الرغائب ولكن السعى ينجح ويفشل ، وقد ظن الانسان أن

الحياة هى غنيمة باردة سهلة ، عليه أن يفيضها قبل أن تنتهى لأنه لا يؤمن بما وراءها ، كذلك فهو قد آمن بالجبرية ورفض الارادة ذات المسئولية والجزاء وفى كل ذلك خرج الانسان عن فطرته وأغضى عن عطاء الدين الذى هو الضوء الوحيد الكاشف الصادق فى هدايته الى الطريق وفى سبيل تحريره من أهوائه ومطامعه ، ومن هنا جاءت تلك الأزمة التى ليس لها علاج الا بالعودة الى الايمان بالله : قوة دافعة تعطى الأمل ، وتحول دون اليأس ، وتبعث الثقة ، وتدعو الى المعاودة فى حالة الاخفاق وتهدى الى الوجهة الصحيحة للانسان والعمل الذى استخلف من أجله • وقد تبين أنه لا سبيل الى تفريغ كيان الانسان من مضمونه الاجتماعى والنفسى والروحى أو النظر اليه على أنه ذلك الهيكل البشرى خاليا من الروح والوجدان •

لا رهبانية فى الاسلام :

ألغى الاسلام الفكرة القديمة التى كانت تقول ان هناك صراعا بين الجسم والروح ، وأعلن أن الروح والجسم متكاملان ، وبذلك أسقط مفهوم اللارهبانية القائمة على الرياضة العتيقة وتدمير الجسد من أجل الصفاء الروحى ، كما أسقط مفهوم الاندفاع المسرف الى الشهوات والملذات ، آمن الاسلام بالروح والجسم معا ، ونظر الى الانسان نظرة متكاملة ، وكرمهما معا ، ودعا الى الاهتمام بالجسم من ناحية النظافة ، وجعل الطهارة دليل الايمان ، ودعا الى طهارة القلب لا الجوارح فحسب ، وجمع بين النظافة والطهارة والزينة ، وربط بين الدنيا والآخرة •

ومن هنا فقد قضى الاسلام على فكرة أن الجنس هو غاية الحياة أو أكبر أهدافها فقد جعل الرابطة الاجتماعية فى الأسرة هى أقوى الركائز لبناء المجتمع ولسعادة الرجل والمرأة جميعا ، كما قضى فى نفس الوقت على فكرة الجنوح عن الزواج وبناء الاسرة وعده نقصا فى التكوين البشرى •

وقد اعترف الاسـلام بالرغائب البشرية وأباحها فى اطار الضوابط الشرعية والأخلاقية ، مع حسبان الطاقة والمغفرة والعفو •

وفى نفس الوقت الذى اعترف الاسلام فيه بالرغائب البشرية حرر الانسـان من طابع عبادة الشـهوة أو عبادة الأجسـاد أو عبادة الفرد أو عبادة ما سوى الله الواحد الأحد •

كذلك دعا الاسلام الى تهذيب مداخل الشهوات ومخارجها فوقف بها عند الحد الذى لا يؤذى الفرد ولا المجتمع والذى لا يحول دون تدمير الشخصية الانسانية •

الاسلام يأمر بالعدل والاحسان :

دعا الاسلام الى الانصاف من النفس واقرار الحق بالنسبة للقريب والبعيد فى آن ، وللعدو والصديق فى آن ، وجعل من شرعته أن يتساوى أمام العدل والحق : الأمير والأجير ، وهو فى هذا يصـحح خطأ الأمم والحضـارات التى تنصف أهلها ولا تنصف الغير وقد عبر رسول الله عن هذا فى أبلغ بيان حين

قال : انما أهلك من كان قبلكم لأنـــه اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد « وكشف النبى عن موقف الاسلام فى أن الرسول نفسه يقيم الحد على أقرب الناس اليه « وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » •

كذلك جعل الاســلام الجزاء مقتصرا على الذنب وحده ، ورفع أساليب الظلم القديمة التى كانت تؤخذ بها الأمم والقبائل والقرى ، وفى الحرب حرم الاســلام أن يعتــدى على غير المحاربين ، ومنع مثل الشيوخ والأطفال والنساء والزهاد •

كذلك دعا الاسلام الى المطابقة بين الكلمة والسلوك ، والايمان والعمل ، وربط بين العقيــدة والعمل ، فاتصــل ذكر الايمان والعمل الصالح فى القرآن خمسين مرة ، ولقد كان من أخطر الأخطار على المجتمعات ــ ولايزال ــ انفصال العلم عن العمل ، ولقاء المفاهيم نصوصا لا تطبق فى المجتمعات ولا تمارس بين الناس ، ذلك أن الاسلام انما يريد من المفاهيم الصــالحة والأفكار النافعة أن تكون أداة بناء حياة كاملة فى اطارها وضمن مضمونها •

نظرة الاسلام الى المال :

قرر الاسلام أن المال وسيلة لا غاية ، وطريق لا هدف ، وأن المال كله هو ملك لله تعالى ، وأن الانسان مستخلف فيه ، استخلفه الله عليه للانتفاع به وتوجيهه فى سبيل الله ومصلحة

المجتمع ، وقد كرم الاســلام العمل والانفاق ، والمال تطهره الصدقة ، والزكاة ركن ، وهو نظام للتضامن الاجتماعى ، وقد دعا الاسلام الى تداول المال بين الناس جميعا دون قصره على طائفة خاصة ، وقيد حق الانفاق بمنع السرف والتقتير ، وقيد تنمية الثروة بمنع الغش والربا والقمار والاحتكار ، وجعل الدولة ضامنة من لا مال عنده ولا عمل فهى تتولى ايواء العجزة وذوى العاهات ، وأنكر الاسلام احتكار الثروة فى طبقة واحدة وأنكر احتكار التجارة وحرم أكل أموال الناس بالباطل •

ودعا الاسلام دعوة صريحة ملحة الى الانفاق وهاجم البخل، كذلك فرق تفرقة واضحة بين البيع والربا فأحل البيع وحرم الربـــا •

أساس المعرفة فى الاسلام :

قرر الاسلام أن للمعرفة جناحين : روحا وعقلا ، وحيا ونقلا ، والوحى أساس ، والعقل فى حدود مهمته وقدرته خادم للوحى ، وقد دعا الاســلام الى المطالبة بالبرهان والدليل ، ونهى عن تحكيم الهوى أو العصبية فى الكشف عن الحقيقة كذلك فتح الاسلام باب الاجتهاد فى فهم الحقائق ، والنظر فى الفروع •

وقرر **القرآن دستور العلم** ، فدعا الى عــدم الانخداع بالأوهام والاغترار بالظنــون ، والقول بغير دليـــل ، واعمال العقول ، لا يقلدون أحدا ، احرار فى النظر لا يبعدهم عن ذلك شىء وقرر **الاسلام الا كتمان للعلم ، بل دعوة الى اذاعته وبثه**

فى الناس وعقاب من يكتمه ، وجعل السلطان للحجة والبرهان ، ودعا الى التحرر من التبعية والتقليـد وأقر الاسـلام نظام الثوابت والمتغيرات : فهناك الثوابت التى لا تتغير وهى الأصول التى تقوم عليها حركة المتغيرات .

وأقر الاسلام للمجتمعات قواميس ثابتة ، وكشف عن أن للوجود الانسانى سننا لا تتغير هى سنن الله فى الكون ، وهى التى تحكم الأمم والحضارات والمدنيات والمجتمعات ، وقد ورد هذا فى القرآن قبل أربعة عشر قرنا .

وأقر الاسلام مفهوم التقدم على أنه تقدم جامع : مادى ومعنوى معا وليس تقدما ماديا خالصا ، والاسلام لا يعارض التقدم بل يدفع اليه ، وكذلك النجاح المادى فهو ليس غاية فى ذاته بل مرتبط بالتبعة الأدبية ولقد جعل الاسلام الغاية من مختلف أنواع النجاح أن يكون خلقيا .

الإسلام دين ترابط ومساواة

أقام الاسلام أصول الأخوة العالمية وجعل روحها الترابط والمساواة ، وبذلك هدم أنظمة العبودية واستعلاء الطبقة الخاصة وألغى الرق والسخرة ، وحرر العبيد ، وأدخلهم فى نطاق الاخاء : لهم مالهم وعليهم ما عليهم •

والاسلام لا يقر أى فروق فى الجماعة على أساس اللون أو الجنس أو اللغة ، وقد سوى بين الأجناس : فلا يرى لأبيض على أسود ولا لعربى على عجمى من فضل الا بالتقوى وبذلك مهد للوحدة العالمية الحاملة لمختلف العناصر والأقوام ، على أساس التوحيد بصرف النظر عن فوارق اللون أو الدين أو اللغة • ويرفض الاسلام القول بأن هناك جماعة معينة بينها وبين الله عقد خاص لتكون مسودة على العالم ، ويقرر أن عقد الله الوحيد مع البشرية هو التقوى : وبذلك شجب الدعوة العنصرية القائمة على الدم والأنساب ومنع التفاضل بهما ، ولم يجعل الانساب والدماء ميزانا لتقدير الناس بل جعل الناس جميعا متكافئين فى أموالهم ودمائهم •

وقد قرر الاسلام هذه الأخوه البشرية منذ أربعة عشر قرنا

وهو المبدأ الذى لم يعرف عند الروم ولا الأوربيين أو الأمريكيين المعاصرين ـــ على حـــد قول برناردشو ، فاذا سألت العربى أو الهندى أو الفارسى أو الأفغانى من أنت ؟ : يجيبك : أنا مسلم ، أما الغربى فاذا سألته من أنت ؟ قال : أنا انجليزى أو طليانى أو فرنسى • فالغرب يترك الدين ويتمسك بالجنسية أو الوطنية • ويقول المســلم : أنا مســـلم بصرف النظر عن جنسيته أو وطنه • وهذا أكبر دليل على أن الاسلام يوحد بين أهل العقيدة المشتركة •

تحرر الفكر والتدين

فى الاسلام يلتقى الدين بالعلم ، والاسلام هو الذى دفع المســـلمين الى الخروج من دائرة المنهج اليونانى القياسى الى انشاء المنهج التجريبى ، فقد دعا الاسلام الى النظر فى الكون والتأمل فى الكائنات ، ومعرفة أسرار الوجود •

كذلك فقد جعل الاسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ودعا الأمة أن ترتب أقواما لتعليم الناس ، وحث على العناية بتنمية العقل الانسانى ، كذلك فضل العلم على العبادة ، وفضل العلم على اطلاقه : علم الدنيا وعلم الدين ومن هنا كشف عن حقيقة هامة : هى أنه لا تعارض بين تحرر الفكر وبين أن يكون المفكر متدينا •

وقد وصل المسلمون الى أعلى درجات العلم والثقافة ومع ذلك فقد ظل مجرى عقولهم قائما على الايمان بالله ، والعلم فى الاسلام يزكو بالانفاق ، وقد أخذ الله الميثاق على العلماء أن يبينوه للناس ولا يكتموه • وقد أطلق الاسلام حرية البحث ،

وحث على الاجتهاد ، وقرر أن للمخطىء أجرين اذا أصاب وأجرا اذا أخطأ وحرم التقليد ودعا الى عـدم الانخداع بالأوهام أو قبول الظن أو القول بغير دليل ، ودعا الى استعمال العقل وسؤال أهل الذكر •

وقد اعترف الاسلام بقانون الترقى وطالب بترقية الشخصية الانسانية وتحريرها من الوثنية والتبعية والجهل والخرافة •

لاتناقض فى الاسلام :

ليس فى الاسلام تناقض بين المثل الأعلى والواقع العملى للناس ، وليس فيــه ما يصــادم العقل أو الذوق أو الفطرة أو العلم • ومن هنا فالاسلام يقر الفلسفات المعقدة ، ولايقر الاشراق أو التناسخ أو الحلول أو الالحاد ، وليس فيه من يسقط عنه التكليف •

وبذلك أقام الاسلام الفطرة ودعا الى بقائها وشدد بالنهى عن افسادها بالتعاليم الضارة ، ونبه الى ضرر التقليد الأعمى للآباء والقادة •

كذلك دعا الى حفظ الدنيا وتنميتها فى اطار التقوى وتوجيهها الى الله ، وجعل أقوى صــور الزهد هو التضحية بالنفس فى سبيل الجماعة ، ودعا الاسلام جميع أبنائه الى الاندماج فى المجتمع وقهرهم قهرا على الأخــذ من منافع الدنيا بنصيب ، وجعل كل ايقاف للحياة عن الحركة بالنسك والزهادة مخالفة

صريحة لمفهومه وابتعاد عن الحياة العملية • وبالرغم من هذا يدعو الاسلام الانسان الى الزهد فى وسط مغريات الحياة وليس بالعزلة عنهـــا والعالم فى نظر الاســـلام ليس سرمديا ولا أزليا ولكنه حادث ولكل شىء فيه أجل مقرر ونهاية محتومة •

وأكد الاسلام قيام الصلة بين الانسان وخالقه دون وساطة أحد من الناس وكشف عن أنه ليس فيه سر ولا تناقض ولا أمر يعرفه أحد من الناس دون المسلمين جميعا ، وليس فى الاسلام رجل دين له حق يزيد عن حق الانسان العادى ولا هو مخول حق السيطرة على الناس •

مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ فَقَدْ عَرَفَ نَفْسَهُ

ان كلمة « اعرف نفسك » وعليها يقوم الفكر الغربى الوثنى كله كلمة مضللة ، والمسلمون يقولون اعرف ربك تعرف نفسك ، ومن عرف ربه جل ومن عرف نفسه ذل ، وهم حين يواجهون أزمات النفوس لا يضعون لها العلاج ولا يكشفون عن أسبابه المرض ، ولكن الاسلام يلقى الأضواء صادقة ويقول كلمة البرء والشفاء . انهم يثيرون الشبهات ويحرجون الصدر ويمتنعون عن القاء الضوء الكاشف على الطريق الصحيح ، انهم يريدون أن يعلنوا أن ذلك من طبائع الأمور وهو غير صحيح **فالفطرة سكينة وطمأنينة والخروج عنهـا قلق وتمزق** ، وما وقع هذا التمزق فى البشرية الا نتيجة خروجها عن الفطرة ، انهم يعالجون رغبات النفس بمزيد من الرغبات ، وانفتاح النفس على اللذات يجعلها لا ترتوى أبـدا بل ينهكها ويدمرها ، انهم يعالجون الحرمان بخلق هذا العالم الوهمى من الغناء والمسرح ، ومايشفى هذا ، ولكنه كالمخدر يصـل بالنفس بعد أن تضيق الى أقسى صور الأزمة .

ان النفس البشرية لها علاجها ليس باطلاقها بل بضبطها ، وليس بالمثيرات بل بالمبررات ، ولابد من ارتفاع صوت العقل

على نداء الجسد ، واعلاء الخلق على الابتذال ، وتطويع الهوى للهدى ، واخضاع المزاج للفكر ، ان فى الجســد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فســدت فسد الجسد كله : ألا وهى القلب •

والمسئولية والحرية متلازمان فى الاســلام فالحرية تنمو وتتسع باتساع العقل وحسن استثماره ، وكذلك المسئولية تنمو وتكبر بازدياد الحرية ، والاسلام يحرر الانسان من عبوديته لأية قوة مهما كانت بشرية أو غير بشرية •

مُقَوِّمَاتُنَا مِنْ نَبْعِ دِينِنَا

هنـــاك أمور ليست أممية ولا مشـــتركة بين الأمم البشرية جميعا ، فهى مطبوعة فى كل أمة بطابعهـــا الخاص ، تلك هى الأخلاق والعادات والتقاليد والآداب والذوق والروح والمزاج •

ان هذه الأمور هى مقومات كل أمة ومنبع الهامها ، وهى ترجع الى عوامل كثيرة أبرزها عامل الدين والعقيـــدة بالاضافة الى عامل البيئة والتاريخ والعنصر ، ولا ريب أن الفوارق بين الأمم من ناحية الأخلاق والاجتماع والعقائد واللغة ، قوية عميقة الجذور الى درجة تجعل من المستحيل تذويبها أو احتواءها من جانب القوى المسيطرة أو الغازية •

وذلك هو ما يطلق عليه الطابع الخاص : فقد نقل الغرب علومنا دون أن يعتنق ديننا أو يقبل ثقافتنا ؛ ذلك لأن هذه مما يدخل فى خصائص الأمم وطوابعها الخاصة ، أما العلم والمعرفة فتلك أمور عامة ملك للأمم جميعا ، ولقد كان من دأب التغريب والغزو الثقافى اخراج المســلمين والعرب من مقومات دينهم وفكرهم فى محاولة لاذابتهم فى بوتقة فكره العالمى ؛ وتعويض مجتمعهم فى مصادره الأساسية وهزيمة العقل الاسلامى من

خلال منطلقاته الأصيلة . هذه المنطلقات هى رأس مال المسلمين وميراثهم وأداة قوتهم ، وهى التى حفظت وجودهم هذا المدى الطويل وحققت لهم النصر فى كل موقف ، ومكنت لهم فى الأرض ومنحتهم المهابة والمكانة فى نظر الأمم ، فمن العسير أن يتخلوا عنها أو يفرطوا فيها .

لا بديل للتشريع الاسلامى :

حملت موجة الزحف الاستعمارى التى طوقت العالم الاسلامى معها ، تلك المحاولات التى فرضت نظما وافدة للاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية والقانون تختلف عن طبائع هذه الأمم وقيمها . ولقد عجزت هذه المحاولات أن تستوعب النفس المسلمة أو تجد لديها القبول . وكشفت التجارب المتعددة حاجة المسلمين الى اعادة النظر فى تلك المناهج الوافدة . وقد حملت هذه الرياح معها القانون الوضعى الذى جرى تطبيقه بديلا للشريعة الاسلامية ثم ظهر من عيوبه ونواقصه ما كان بعيد المدى فى اضطراب الحياة الاجتماعية ، وهو ما دعا الى اعادة التماس مصادر التشريع الاسلامى ، كما حملت معها محاولات اسقاط القيم والفرائض التى كان لا سقاطها أثرها فى العجز عن مواجهة أخطار الغزو الخارجى ؛ وجرت المحاولات لتحريف التاريخ والنصوص الأساسية على نحو استهدف افساح الطريق لاقرار مفاهيم زائفة حاولت الصهيونية اقرارها مثل التشكيك فى رحلة ابراهيم عليه السلام الى الحجاز بل ووجود اسماعيل وبناء الكعبة بيت الله الحرام ، وجرت

المحاولات لاضافة أشياء ليست أصيلة مثل الاسرائيليات وادخال التأويل فى التفسير بما يبرر الواقع ، أو يؤيد مذهبا ما : وكل هذا مما لا يقره الاسلام الصحيح وما يزال تحرك المسلمين جاريا فى نطاق القرآن فاذا خرج عنه واجهوا الحرج والأزمة والتمزق وواجهوا ضربات الأمم وذلة فى الحياة الدنيا . ولن يرفع الحرج الا بالتماس منطق القرآن وتطبيق الشريعة ، ان الطريقة الوحيدة التى اختارها الاسلام للمسلمين للتحرر من الأزمات أن يعودوا الى المصدر الأصيل للعقيدة وأن يحكموا فى ضوئه على كل ما فى حياتهم من أوضاع .

رَسُولُ الْإِسْلَامِ هُوَ الْقُدْوَة

عاش المسلمون تاريخهم كله فى نضال مستمر من أجل شىء واحد هو أن لا يخضعوا لانحراف الأهواء المضلة ولا النحل التى تخلب الألباب بعباراتها البراقة وتخفى السم فى الدسم ، ومن نتيجة ذلك كانت الأمانة المحفوظة المنقولة على مدى الأيام : هى أن نعرض كل ما يقدم لنا على كتاب الله فهو المصدر الأول لفكرنا ، فلا نقبل الا ما كان مطابقا له ، ولا نثق بكل مايكتب ولا كل ما يقال مهما كان له بريق من شهرة قلم كاتب أو أناقة طبع كتاب .

ولقد تواصى المسلمون بأن مذهبهم هو المذهب الجامع القائم على السنة ، وليس هو مذهب الفلاسـفة أو مذهب الباطنية أو مذهب المعتزلة أو الغلاة أو التصوف الفلسفى ، وذلك أن الاسلام فى مفهومه الجامع القائم على السنة قد جمع بين العقل الذى عرفه المعتزلة ، والقلب الذى عرفه الصوفية ، فاذا أردنا نموذجا تطبيقيا لهذا التكامل وجدنا هذا النموذج فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القرآن هو المنهاج والرسول هو التطبيق (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أما بعده فالكل بشر نأخذ منهم ونترك ، ما وافقوا كتاب الله .

ولقد أدخل المسلمون حب رسول الله وآل بيته داخل فكرهم ، فأحبوا أهل البيت حبا صحيحا ولكنهم احتفظوا بمفهومهم الكامل للتوحيد والنبوة ، ولم يؤمنوا بالعصمة الا لرسول الله وحده ، وقد بين رسول الله الاسلام فلم يختص أحدا بشيء ولم يكتم منه شيئا ولا سرا ، فليس لفئة ما من المسلمين ميزة خاصة ، وجعل الصلة بالعمل وليست بالنسب •

الاسلام دين عزة وسيادة :

ان من أخطر المعانى التى حاول التغريب والاستشراق والتبشير اسقاطها من النفس الاسلامية : هو أن الاسلام عقيدة ونظام وتربية ومنهج حياة ، وأنه ربى أتباعه على العزة الكاملة ، أنه لم يقبل الضيم يوما ، ولم يسمح لأهله الرضا بالذل لا مساندة الخضوع ولا اعانة العبودية ، فقد ربى الاسلام **معتنقيه على الاعتزاز بكرامتهم** ورباهم على الايمان بأنهم خلقوا ليفرضوا وجودهم فوق هذه البسيطة ، ولينتزعوا مكانهم تحت الشمس ليكونوا سادة ولا يكونوا عبيدا من غير من ولا ظلم ولا اعتساف ، **فليس الاسلام حليف ذلة ولا حليف طغيان** • ولقد كان الاسلام ولا يزال مصدر حركة المقاومة ضد الاستعمار والغزو وكل نفوذ أجنبى وأنه هو الأداة الأصيلة الصحيحة لتحقيق النصر ، وقد تمكن المؤمنون به أن يتحرروا من رق الدول المستعمرة ذات العدة والعدد ، بينما لم يكن للمسلمين سند ولا مدد الا ايمانهم بالله وعزتهم وثقتهم بوعد الله ، وعقيدتهم القائمة على التوحيد الخالص فلا يخافون الا الله ولا يرهبون سواه ، ولقد نصرهم هذا الاعتقاد فى مواطن

كثيرة ، وحررهم من الاستعمار والغزو ، وحق لهم اليوم أن يلتمسوه فى بناء مجتمعهم ودولتهم وأمتهم ، ذلك أنه اذا كان الاسلام ازاء الاستعمار عامل تحرير فانه سيكون ازاء البناء الاجتماعى . عامل تقدم .

الاسلام يدعو الى الترابط ويمقت العصبيات :

ليس ثمة تناقض بين كيان الأمم وانتمائها الاسلامى وبين ترابطها العالمى باسم الفكر والدين والعقيدة . فالاسلام لم يعمل على محو القوميات بل اعترف بالشعوب والأمم ، ولكنه دعا الى محو العصبيات . وقد جعل الاسلام الانتماء الى الأمم والأجناس وسيلة لخدمة الانسانية التى رسم الاسلام مثلها وأهدافها . ولقد ترك الاســلام لكل شــعب لغته والكثير من عاداته وفنونه ولكنه وحد العقيدة ، أى أنه أقام مفهوما أصيلا فى النظرة الى الله سبحانه ، والوجود والحياة ، ووحد طريقة العبادة والشريعة ونظم العلاقات بين الناس وأسلوب السلوك والأخلاق .

ان التفرقة بين الاســلام والعروبة هى محاولة معارضــة لطبائع الأشــياء ، ذلك أن العروبة تشكلت فى اطار الاســلام وصلتها به صلة جذرية وعضوية معا ، ولقد صهر الاســلام القوميات فى البوتقة الاســلامية وأحالهــا من تفارق العرق والعناصر الى جوامع وحدة الفكر وتكامله .

ولقد كان الشــعور بالعروبة مرتبطا بالرســالة الانسانية

ومفتوحا على الأمم التى اعتنقت الاسلام عطاء وأخذا ومحبة ورباطا ثقافيا وعقيديا عميق الجذور واسع المدى •

وليس الاسلام ملكا للعرب وحدهم ولا لأية أمة من الأمم وانما هو رسالة الله الى الانسانية جميعا ، وقد اختير العرب لحمل لوائها وأعدهم الله لذلك اعدادا صحيحا فقاموا بدورهم ولا يزالون مؤهلين لتجديد هذا الدور •

ولقد خلق الاسلام العرب خلقا جديدا وانتقل بهم الى المجال الدولى ، ولقد أقام الوحدة على أساس العقيدة والفكر ، وليس على أساس الجنس والعرق ، وكان الاسلام السور المنيع الذى رد عنهم العوادى وحطم الغزاة •

الإسلام يدعو إلى التقدم

قرر الاسلام أن لكل فرد فى المجتمع الاسلامى ما يستحق من الاحترام والطاعة بقدر ما يتحمل من المسئولية : وبقدر مايتحلى به من صفات طيبة ، كالعقل والعلم والخلق ، ويعطى الاسلام أهمية كبرى للانسان كفرد وكفرد فى مجتمع ، ويؤكد حاجته الى التقدم المستمر ، ولذلك يحرر طاقاته الخلاقة كلها ، فكرية وخلقية وعملية . لتنطلق فى خدمة تقدمه كانسان : وفى خدمة المجتمع ككل . دون السماح لعائق ما أن يقف فى وجهه ويعارض بصفة خارجية العائق الطبقى الذى يحكم على الانسان باعتبار الطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها ، ويجعل تقدمه مرتبطا بمواهبه وقدراته ومدى ما يمكن أن يقدم للمجتمع من خدمات، ومن هنا فان الاسلام لا يقر الامتياز الفردى كأساس لتقدير الناس وانما يعرف مقياسا أعمق وأصفى وأصدق : هو التقوى.

كذلك لا يعرف الاسلام القداسة والعصـــمة للبشر ، وهم سواء فى التعرض للخطأ والصواب ، فالاسلام يضع الناس جميعا سواء أمام الاعتبار البشرى ، ويرفع العصمة عن الانسان الا فى نطـــاق ما يكلف به رســـله لتبليغه من وحى الله الى الناس ، ولا يعرف الاسلام استعلاء طبقة باسم رجال الدين

ولا حكومة الهية ولا يفصل الدين عن المجتمع أو الاخلاق عن العقيدة .

قدرات الاسلام :

امتاز الاسلام بقدرات واســعة فى آفاق عريضة : امتاز بالقدرة على معايشة الحضارات والمجتمعات والالتقاء بها ، كما امتاز بالقــدرة على اجراء حركة التصحيح من داخله ورد الشبهات ومقاومة كل تحريف أو تحول فى المجرى الطبيعى ، كما امتاز بالقدرة على فتح آفاق جديدة من خلال الأزمات التى تواجهه ، كما أتاحت له طبيعته الجيــاشة المرنة ابراز رجال أقوياء مقتدرين على تجديد شبابه وبعث مفاهيمه الأصيلة ، واعادة صياغة فكره ، واستطاع دائما باقتدار تغيير الأوضاع الفاسدة ونقل الفكر الى الحياة ، ومقاومة الحكم الجائر والترف ومجابهة المتصدرين بكلمة الحق وانكار المنكر ، كما حث على الانتاج والتوسع والانفتاح على الآفاق .

والنظرة المنصفة للاسلام هى النظرة المستمدة من أصوله ومقاصــده ، لا من تاريخه وتطبيقه ، فالتاريخ ليس مصدرا لمنهج الاسلام ، وليس ما فى التاريخ الاسلامى ممثلا صحيحا لمفهوم الاسلام فى كل آن .

المغرضون وسماحة الاسلام :

ان أخطر المحاولات التى تحتاج الى الانتباه الوافر ، هى

محاولة وضع الاسلام فى موضــع تبرير القيم الغربية باسم سماحة الاسلام وانفتاحه وقابليته للاجتهاد ومعايشة ظروف الأمم والحضارات •

وتجرى هذه المحاولة تحت اسم تطوير الاسلام أو تطوير الشريعة الاسلامية وبخاصة فى مســائل الربا والمرأة وحدود السرقة والزنا والخمر •

ولا ريب أن الاجتهاد ليس منفصلا عن الكتاب والسنة ، وان هناك قواعد كلية لا يجوز الاجتهاد فيها ، وأصــول ثابتة فى المعاملات لا تتغير بتغــير الزمان وبخاصــة فى البيع والرهن والشفعة والهبة • وهناك مسائل فرعية يجوز فيها الاجتهاد •

وقد شاب الدراسات التى حاول أصــحابها اتخاذ الاسلام أداة لتبرير تجاوزات الحضارة وانحرافاتها فساد كثير ، وبان فيها ــ عند محاولة الفكر الغربى القائم على شرائع وضعية ــ العجز عن فهم أصول الاسلام •

ومما يثار ــ وهو أحيانا ليس سليما ــ القول بأن الأساس فى المعاملات هو رعاية المصلحة العامة أو حاجات الناس ، وهذا الرأى مخالف لمفهوم التشريع الربانى القائم على حكمة عليا أكبر من أن تكون المصــلحة وحدها هى الموجهــة له والمفسرة لآياتــه •

يفرق الاسلام تفريقا واضحا بين الأخلاق والتقاليد ، هذا التفريق يغيب عن بــال كثير من الباحثين • أما الأخلاق فهى

القيم التى رسمها الاسلام وأقرتها الأديان أساسا والتى لا تتعرض للتحول والتغير بتغير الزمان ، تلك القيم الثابتة الراسخة التى أثبتت أجيال البشر جيلا بعد جيل أنها مرتبطة بالسنن الطبيعية للحياة الانسانية ومرتبطة بالانسان من حيث تكوينه وحياته وهى ليست مرتبطة بالمجتمعات والعصور .

وقاعدة ثبات الأخلاق أن الحق واحد والخير واحد وأن كلا منهما لا يختلف ولا يتعدد ، وأساس الأخلاق هو التمييز بين الخير والشر ، والحق والباطل ، وسيظل كل منهما قائما على اختلاف الأزمنة والبيئات دون أن يتحول الخير الى شر ، أو الحق الى باطل مهما تعددت التفاسير والتأويلات .

هذا عن الأخلاق ، أما العادات والتقاليد فتلك سنن المجتمعات المرتبطة بالأزمنة والبيئات المتغيرة المتبدلة ، والتى يأخذ الناس منها ما يرونه صالحا ويردون منها ما يرونه زائفا .

ولقد كانت محاولة الاستعمار اعلاء شأن العادات والتقاليد وتمجيد العادات الموروثة والادخال فى روع الناس أن لها قداسة من حيث تمثل تراث الأسلاف وبذلك عزلت مبادىء الاسلام وجمدتها وكان من خطر ذلك رفع شأن العادة الى مقام القيم الدينية .

ان من أخطر الدعوات التى يثيرها التغريب اليوم : الدعوة الى نبذ الماضى : التاريخ ، التراث ، وذلك يعنى بعبارة مغلفة : معارضة قيم الاسلام والتحرر منها ، هذه الدعوة تتحدث عن

المسلمات وعن الأساطير وعن الخرافات . والاسلام براء من ذلك كله ، وربما كان ذلك صحيحا بالنسبة لأمم أخرى ، أما فكر الاسلام فقد ولد فى أحضان التوحيد . واستهدف تحرير النفس الانسانية والعقل البشرى من الوثنية والخرافة والأسطورة . واقامة منهج البرهان والعلم . وهو الذى أزاح عن كواهل الناس تحديات وهمية عن خطيئة يؤخذ بها الناس دون أن يكون لهم جرم فى وقوعها . ولقد حرر الاسلام الناس من كل عمل لم يعملوه فاعلن انه لا تزر وازرة وزر أخرى .

ولذلك فهم يفرقون بين الدعوة الى نبذ الماضى اذا كان هذا الماضى — قريبا ملاصقا — هو الاسلام ، بينما يدعو الى احياء الماضى البعيد السابق للاسلام : ماضى الوثنية . وعبادة النجوم والكواكب ، والمجوسية ، وتأليه البشر وصراع الآلهة .

الاسلام يجدد نفسه :

لقد عرف الاسلام القدرة الفائقة على تجديد نفسه واعادة صياغة فكره كلما انحرف هذا الفكر أو أصابته دخائل حولته عن مجراه ، أو انتزعت منه جوهره ، ولقد كان الاسلام وسيظل كيانا حيا قادرا على التمدد والعطاء ، وقد كشف الاسلام عن طبيعته الأصيلة القادرة على النمو والتوسع ، دون ارغام ، وعلى التكيف مع المجتمعات ، وعلى المواءمة بين حيوات الناس وأفكارهم ، ومنذ ظهر وكل حدث مرتبط به على نحو من الانحاء

ولقد استطاع الاسلام حين امتحن بتحديات الصليبيين والتتار

أن يدخل أرضـــا جديدة فى جنوب شرق آســيا وشرق وغرب أفريقيا ، واقتحم قلوبا جديدة ، فأضاف الى معتنقيه أضعافهم ، ومنذ انتشر الاسلام لم يتغلب عليه متغلب من الأديان ، وان تراجع عن الأرض فانه لم يتراجع فى النفوس .

ولقد كانت الطريقة الوحيدة التى اختارها الاسلام للتحرر من الزيوف التى حاولت أن تقتحم أصوله الأصيلة من تحريفات وأساطير وتأويلات : هى العودة الى المصدر الأصيل والمنبع الأول والجوهر الربانى ، وهو (القرآن) لتحكيم الناس فى ضوئه على كل ما بين أيديهم من أمور .

ولقد دعا الاســلام فى منهجه الى انكار الظن ، والغرض ، والأسطورة ، والخرافة ، والوهم ، والهوى . وطالب بالدليل والبرهان .

ركائز الفكر الاسلامى :

ان الأخطار التى تواجه الاسلام والفكر الاسلامى تقتضينا أن نكون على حذر دائم من مختلف التيارات والدعوات التى تحاول أن تغزونا أو تثير الشبهات حول قيمنا الأساسية ، وأن علينا دائما أن نكتشف عن الفوارق الدقيقة بين مفاهيم الفكر الاسلامى والفكر الغربى ، فى كل المجالات ، ومفتاح **الحقيقة فى فكرنا يقوم على ركائز التوحيد والأخلاق والايمان بالغيب .**

وعلينا دائمـــا أن نفرق بين المعارف والعقائـــد ، فالمعارف

انسانية عامة . والعقائد خاصة وذاتية ، وكل أمم لها عقائدها التى لا تنقلها الى أمم أخرى : أما المعارف فهى عامة وملك البشرية كلها .

اننا نؤمن بذاتية الثقافة وعالمية العلم ، وعلينا أن نداوم غربلة القيم . وما يتصل بها من مفاهيم المعرفة لنعرف العارض والدخيل والأساسى . وعلينا أن نتحرر من نفوذين : نفوذ مدرسة تؤمن بالخرافات والاسرائيليات . ومدرسة تؤمن بمذاهب المستشرقين والمبشرين فى فهم التاريخ والدين .

وليس صحيحا أن الوثنية والمفاهيم الجاهلية كانت أساسا أو مقدمة لحضارة الاسلام ، لقد صنع الاسلام مجتمعه من جديد ، كانت فى الجاهلية قيم الكرم والبطولة والمروءة ، موجهة للفخر والمباهاة والمطامع الفردية ، فلما جاء الاسلام حولها الى وجهة الحق وجعلها خالصة لله .

القرآن عالمی وخالد

ان الانسان بلا عقيدة يفقد سبب وجوده ، ووجهة حياته ، وعصمة امره ، ولا يعرف أول الطريق ، ولا نقطة الانطلاق ، ولا مفتاح الهدى من الحيرة ، وحين تتشــابه أمامه المسالك أو تضطرب أمامه المفــاهيم •

نحن لا شىء بلا عقيــدة ، ولا نجاة من الانهيــار النفسى الا بعاصم ، ولا نجاة من حيرة الفكر الا بموقف • ولقــد كان **الاسلام ـــ وما يزال ـــ دائما هو القادر** على تجديد النفس وهداية العقل ، واعادة صياغة الحياة •

والأسلوب القرآنى عالمى وخالد . والأساليب الأخرى مرتبطة بعصورها وبيئاتها : أسلوب الفلسفة ، أسلوب العلم ، أسلوب المنطق ، أما الأسلوب القرآنى فان حصانته من كل زيف ، انه يعتمد على الفطرة ، وينطلق من الغاية ، ويتسم بالانسانية ، ويقوم على الدليــل ، ويجــانب الهوى ، ويطالب بالبرهــان ، وسيقبل وجهة النظر الأخرى اذا تبين أنهــا الحق ، ويتنازل عن رأيه اذا عرف أنه باطل ، فهو بهذا أصدق المناهج ، وهو الى هذا متكامل ، فيه وجدان النفس وبيــان العقل ، ومنطق التجربة ، وعبرة التاريخ ، ونظرة الوجود ، وخشية الله •

والأسلوب الحديث الموصوف بالعلمية هو أحد أساليب التغيير ، لا هو كلها ولا هو خيرها ، ولا هو متحرر من أهواء النفس أو رغبات الغرض .

وهو أسلوب يعايش فترة من الزمن ، كما يعايش غيره فترات أخرى سابقة أو لاحقة ، فالسعى لفرضه على غيره مخالف للطبيعة .

واذا كان أسلوب الحديث علميا فأى الأساليب : الرياضى أم التجريبى أم الفلسفى .

ان الثقافة التى نقلت الى المسلمين من اليونان والاغريق لم تكن صحيحة الأصول ، بل كانت محرفة ، حرفها السريان والنساطرة لخدمة مذاهبهم ، ومن هنا كان فسادها واضطراب أمرها ، مما حال بينها وبين أن تعطى الفكر الاسلامى شيئا ايجابيا .

ولقد كان الفكر الاسلامى قادرا على التقبل والتفتح ازاء معطيات الفكر البشرى دون أن يخرجه ذلك من أصالته أو يزيف جوهره .

وان أبرز ملامح الفكر الاسلامى أنه ثابت الجوهر متغير الصورة ، هناك مقومات أساسية يقوم عليها جوهره تتيح له دوما القدرة على التلقى والامتصاص ، والانفتاح على الحضارات والثقافات ، فهو يزود الثقافات بما عنده ويأخذ منها ويرفض على قدر حاجته ومع محافظته على مقوماته الأساسية .

ولما كان لكل فكر طوابعــه ولكل ثقافــة ذاتيتها فان الفكر الاســلامى لا يعمل الا ضمن النطاق الذى رسمه القرآن وفى ضــوئه •

ان أعظم منجزات الفكر الاسلامى التى تذكر له بالفضل والفخر : هى قدرته على تحطيم قيد الاغريقية ، وتدمير قيد الهلينية ، حين حاولت أن تكبل الفكر الاسلامى أو تستوعبه •

وان الأمم حين تريد أن توائم بين ذاتيتها وبين روح العصر ، دون اذابة شخصيتها او اضاعتها فلن تجد معطيا اعظم من الاسلام ، فهو القادر على اغناء الفكر دون أن ينوب فى فكر أمة أخرى •

ان أخطر ما تدعو اليه مبادىء الالحــاد والاباحية المستهترة تحت اسم الحرية : هى هدم ضوابط الأخلاق ، ذلك أن القوى المستترة تريد أن تلقن الأجيــال دعوات الجنس والانحلال ؛ وتفتنهم بأن كل ما حرمه الدين مباح ، وهى لذلك تدعوهم الى الجنس عن طريق القصة ، ونوادى العراة ، وفلسفات علوم النفس والأخلاق والاجتماع مما تقدمه المدرسة الاجتماعية •

الاســلام والعلم :

العلم فى نظر الاسلام : حبة فى عقد طويل من جوهر الفكر الاسلامى نفسه ، فهى ليست مستقلة ولا منفصلة **فالاسلام لا يفصل العلم عن الايمان** ، فمعرفة قواميس الكون وقوانين

الطبيعة لا تغنى عن معرفة المصدر الأول والصانع الأكبر ، الذى يمسك القوى كلها ويحركها لحظة بعد لحظة . لقد انفصل الفكر الغربى عن هذه القاعدة فواجه الأخطار والأزمات .

كذلك فالاسلام لا يفصل العلم عن صاحب العلم أو قائله ، فلا يصل العلم الا من مصدر ثقة . فاذا أصاب الريب حامل العلم كان ذلك مدعاة للشك فيما يقول . والمسلم يتلقى مسائل الطبيعة والصناعة والفلك والزراعة من كل حامل عام ولكنه لا يتلقى العقيدة أو الفطرة الى الوجود والحياة الا من المسلم المؤمن بالله .

ولقد دعا الاسلام الى اعادة النظر فيما اصطلح الناس عليه من أنه نهائى ومطلق ، وكان له موقفه الصريح أمام الأسطورة والخرافة والوهم والسحر ، ودعا الى الدليل والبرهان .

ولقد دعا الاسلام الى قبول العلم ، ولكنه دعا الى تحريكه داخل اطار التوحيد فليس حتما أن يقبل من أهل العام طرق معيشتهم أو أسلوب حياتهم أو طريقة تعاملهم مع العلم .

والاسلام يحرك منجزات العلم فى دائرة السلام والخير والرحمة والعطاء لكل البشرية وليس لفئة خاصة منها .

كذلك فالاسلام يرى أن العلم يعجز عن كل المشاكل وهو مهما تقدم فهو محدود ، وهو لا يستطيع أن يسد مكان الدين ، وفى أمور هامة من أسباب الطمأنينة النفسية والسعادة لايوجد غير الدين الذى يسد الفراغ ولا يسد فراغ الدين أى شىء آخر .

تكامل الفكر الاسلامى :

حين احتاجت المجتمعات الغربية الى وضع مناهج للحياة والاقتصاد والاجتماع كان ذاك حقها . لأنها لم تجد مناهج فى دينها . فقد كان دينها روحيا خالصا ، علاقة بين الله والانسان ، مجموعة وصايا . ولذلك تعددت مفاهيمهم حول المال والانسان والمرأة والمجتمع . أما المسلمون فان لهم منهجا متكاملا ، متصلا بفطرتهم جربه أسلافهم وسعدوا به . فلماذا يحجبونه ويطلبون مناهج الذين ما زالوا يجربون دون أن يصلوا الى ما يسعدهم .

ولا ريب أن الفكر الغربى يصدر عن منطلقات قائمة على الهوى والغرض والعنصرية والاستعلاء ، فالانسان الأبيض هو تاج الخليقة . وأن له الغلبة فى كل صراع . وهذا الانسان ينظر الى البشرية على أنها خادمة له ، وله حق السيطرة على مقدراتها . واستعبادها . وأن فكره هو الفكر البشرى ، وتاريخه هو تاريخ الانسانية ، ذاك أمرهم وتلك تحديات فكرهم ، ولذلك فقد كانوا هم أولى (بأيداوجياتهم) النابعة من مفاهيمهم والمختلفة فى مظاهرها وأهدافها عن مفاهيمنا ، ولذلك فقد عجزت هذه المناهج والنظريات حين نقلت الى أفق العالم الاسلامى عن أن تحقق شيئا أو أن تنجح فى استقطاب الفكر أو صناعة الحياة .

ومن الحق أن نقول ان الماركسية والديمقراطية ومفهوم القومية الغربية كل ذلك قد عجز عن أن يقدم للمسلمين والعرب ما يرضيهم ، ولقيت صعابا شديدة فى مواجهة الفكر الاسلامى

الذى يستمد مضـمونه من منهج ربانى محـكم فيه الثوابت والمتغيرات يلتقى بالانسان مع الفطرة والعقل والعلم : ويساير الأزمان والبيئات دون أن تسـيطر عليه التغيرات أو تقتحمه المناهج البشرية ، هذه المناهج التى سرعان ما يتكشف نقصها عن التكامل وقصورها عن معايشة الأزمان ، وعجزها عن العطاء الذى تتطلع اليه النفس العربية الاسلامية من خلال مفهومها الجامع المحكم الذى أمدها به الاسـلام منذ أربعة عشر قرنا والذى مهما نحى عليها فهو قائم فى أعماقها .

•

الاسلام وتربية الارادة :

انما يدعو الاسلام أهله الى بناء الارادة واقامة الضوابط لأنهما مناط المسئولية الفردية ، فالارادة القائمة على الايمان بالله تكبح جماح النفس وترد الهوى وتلجم عنف الشهوات ، ولذلك جاءت دعوة الاسلام الى تربية الارادة وتقويتها ، وبناء قاعدة الكظم والمجاهـدة ، والعمل على اتقـاء شح النفس ، والانصاف من النفس .

والكظم هو قمة الدين ، وهو معارضة صريحة لدعوة العصر فى الانطلاق بلا حدود ، والمجاهدة تعنى السير ضد تيار الأهواء والمطامع والرغبات المخلة .

وتقوم الارادة الحرة على الأخلاق . ولقد دعا (لامارك)الى الارادة الحرة ورفضها (دارون) فأيدت التلمودية (دارون) واستهدفت فرض الجبرية على البشرية .

ولقد دعا الاسلام الى الارادة الحرة بعد أن بين طريق الخير وطريق الشر ؛ وجعل الاختيار من حق الانسان ، وعليه أن يحتمل تبعته فى السلوك والجزاء ، وكانت رسالات الرسل بوحى السماء تستهدف تبليغ هذا الهدف الى البشرية . وفى الانسان قوة مريدة فعالة : فى هذا الكون تحرك التاريخ وتغير الواقع ، وهى ارادة محدودة داخلة فى ارادة الله العليا ، ولذلك يرفض الاسلام تفسيرات بعض الأديان بما يسمى الجبرية اللاهوتية التى تقول ان الانسان ليس له ارادة وأنه مسير لا مخير ، وما يتصل بها من مذاهب المدرسة الاجتماعية الحديثة، فما كسبته أيدى الناس هو عملهم والتنصل من تبعته باطل .

نظرة الاسلام الى القيم :

المفهوم الاسلامى يقرر أن لكل قيمة وجهين متكاملين غير منفصلين : ماديا ومعنويا ، عقليا ونفسيا ، ودنيويا وأخرويا ، ثابتا ومتغيرا ، لا انفصال بينهما ، بينما يقرر المفهوم الغربى أن لكل قيمة وجها واحدا فهو اما مادى واما معنوى ، والمعنويات كلها توضع فى حساب الغيبيات التى تعامل معاملة المفقود لا الموجود .

ان هذا المفهوم الاسلامى الجامع قد يعجز العقل الغربى حين يرتاد البحث فى الفكر الاسلامى ، أو حين يطالع المسلم ثمرات الفكر الغربى دون أن يكون عارفا بأصول فكره .

ومن هنا يعجز المستشرقون والباحثون الغربيون عن استيعاب

الفكر الاسلامى حيث يجدون من طبيعة فكرهم الجزئية الانشطارية ما يحول بينهم وبين سعة النظرة الى الأبعاد الواسعة ، فاذا كان هؤلاء ليسوا على قدر من فهم للبيان العربى فى اللغة والمضمون عرفنا الى أى جد تتعثر نظريات المستشرقين والباحثين الغربيين حول مفاهيم الاسلام والفكر الاسلامى .

فالاسلام لا يفصل بين القيم ، ولا يعزلها بل يعارض انشطارها ويرى تكاملها . ومن أخطر ما يوجد الصراع فى الفكر الغربى هذه النظرية التى تقسم القيم الى أخلاقية تقوم على أساس الوجدان والنفس ، وعلمية تقوم على أساس العقل والفكر ولا سبيل الى فرجهما ، كذلك ففى الغرب اليوم أزمة الثقافتين : العلمية والأدبية ولعل هذا أيضا هو مصدر الصراع فى النفس الغربية التى تعلى من شأن الوجدان فى الوجودية وتعلى من شأن العقلانية فى المادية وبذلك تقوم أزمات التمزق والضياع والقلق . كذلك هناك إعلاء مفهوم الطعام فى مذهب (ماركس) واعلاء مفهوم الجنس فى مذهب (فرويد) ، أما الاسلام فيتقبل ذلك كله فى نسب مختلفة ، ويجمع بينه فى تكامل ويضع الضوابط والقواعد حتى يلتقى بالنفس الانسانية والفطرة البشرية .

الحضارة الاسلامية :

أول خطوة الى أية حضارة هى العقيدة والقيم الموجهة، والأخلاقيات التى توجه السلوك ، وفى الاسلام لا يتنافى الدين مع التقدم ، والتقدم ليس ماديا صرفا ، بل هو مادى ومعنوى ،

بمعنى أن العبرة ليست بالتفوق التكنولوجى أو المعطيات المادية، بل العبرة باقامة الفكرة والعقيدة .

فالاسلام يضع الضوابط ضد حركة العمل فى مواجهة الربا، ويضع الضوابط ضد حركة الرغبات فى مواجهة التحلل ؛ وليس فى الاسلام حرية الاقتصاد التى تسمح بالربا ، أو حرية الحياة بمعنى حرية الغريزة وانطلاق الشهوات .

ان هذه المحاولات التى ترمى الى تصوير الرغبات بأنها غرائز لا سبيل لايقافها ، أو التى ترمى الى القول بأن تكوين المجرم البشرى هو مصدر اجرامه ، أو تلك التى تهدف الى اعلاء المزاج النفسى على العقل ، كل ذلك لا يقره الاسلام .

ذلك أن ارادة الانسان ومسئوليته هى القادرة على حمايته من دوافع الرغبات وأن ما نسميه غرائز فقد ثبت أنها انما هى ميول لدنه يمكن توجيهها أية ناحية وان ٩٩ فى المائة مما نسميه غرائز — كما يقول علماء النفس — انما هى اتجاهات اجتماعية قد غرسها فينا المجتمع برجوع انعكاسية مكيفة ، فالمجرم يرتكب جريمته بعادات ذهنية وعاطفية واجتماعية وليس بغريزة موروثة .

ولقد ثبت ان كل ما حاول التحليل النفسى التخويف به من توجيه الأبناء خشية ظهور العقد هو باطل ، وان ما قيل عن الكبت هو غير ما يراد بمعنى اعلاء الرغبة فى ظل مفهوم الاسلام الذى يقررها أساسا ثم يرجئها الى وقت القدرة على الزواج وانشاء الأسرة الطبيعية .

من مميزات الإسلام

يقيم الاسلام قاعدتين أساسيتين : الثبات ، والتوازن •

أما الثبات فهو الاطار ، والحـركة قانون تعرف به ولـكنها لاتجرى فى فراغ وهى ليست حركة مطلقة من كل قيد فهى حركة فى فلك ومدار لا يتجاوزه • ويعلن الاسلام ثبات قيم كثيرة هى الأخوة البشرية ، والعدل ، والجهاد ، وتحريم الربا ، والالتزام الخلقى ، والمسئولية الفردية • ويعلن ثبات الأخـلاق (الخير والشر والحلال والحرام) ويعلن ثبات الحدود ازاء الخمر والقتل والميسر والزنا كذلك فالاسلام يقيم التوازن بين النفس والجسد، والعقل والقلب ، والروح والمادة ، والدنيا والآخرة ••

ويرتب الاسلام للقيم سلما ، ويضبط نسـبها ودرجاتها ، ويجعل على رأسه التوحيد والعبادة والعمل والانفاق والجهاد والمباحات والممنوعات •

زيف النظريات الغربية :

ان النظريات الغربية الوافدة هى استجابة لتحديات مجتمع بعينه ، له مشاكله وأزماته وقيمه وعقائده ، وقد قامت هذه

النظريات على مقياس ذلك المجتمع ، ومن خلال واقعه ، فهى خاصة به ، ليس لها كمال النظرة أو شـمولها لمجتمع آخـر ، أو لظرف مغاير ومختلف ، هذه النظريات المطروحة الآن فى أفق الفكر الاسلامى مصوغة فى اسلوب براق له طابع علمى زائف يخفى ما وراءه من تنـاقض واضـطراب ، وقد طرحت هـذه النظريات بعد أن مهد لها بايجاد منطقة فراغ نفسى وعقلى فى الدراسـات ومناهج التعليم أتاحت لمثـل هـذه المذاهب أن تجد مكانا ، هذا بالاضافة الى يسر تداولها والحفاوة بنشرها واذاعتها ، وقد أثرت هذه النظريات فى الكثيرين وانحرفت بهم عن الفطرة والاصالة ، ومفهوم الاسلام الصحيح • غير أن هذه النظريات لم تلبث أن فقـدت بريقها واسـتطاعت مراجعات المفكرين المسلمين لها أن تكشف زيفها وأن تبين الفرق العميق بين مناهج القـرآن وبين مناهج الفكر البشرى ، وكيف أن مناهج القرآن ثابتة بثبوت الفطرة وقائمة على أساس معطيات النفس الانسانية فى رغباتها ومطامحها • وفى عجز هذه النظريات عن الاستجابة وقصورها عند جانب واحد •

ولقد ظهرت هذه النظريات فى الغرب خلال هذه المرحلة :مرحلة انحلال هذا المجتمع وأزمته ووقوعه فى أنياب الأزمة الطاحنة ، أزمة الاحتواء الصهيونى التلمودى للفكر الغـربى المسيحى وسيطرته عليه •

فعلى المسلمين والعرب أن يتنبهوا الى هذه المخاطر التى تواجه فكرهم وان يتيقظوا للمذاهب الهدامة التى تصاغ فى نظريات تدور حول العقيدة والنفس والأخلاق والمجتمع ، ولابد أن تجد

النفس العربية الاسلامية فطرتها وأصالتها ، وأن تستمد وجودها ومنهجها من مصدرها الأصيل القادر على اعطاء البشرية هدايتها ونورهـــا •

ما زلنا نواجه الزحف الذى انطلق فى القرن السادس عشر بأساطيل البرتغال من الغرب وخيول المسكوف من الشرق لتطويق العملاق الاسلامى ، انها الحرب التى بدأها ولم تنته بعد ، وكانت الصهيونية فى ركاب الاستعمار تابعه ووريثه •

لقد حملت هذه الموجة معها محاولات لفرض نظم فى الاقتصاد والسياسة تختلف عن طبيعة الأمم وقيمها ، ولقد كشفت التجارب المتعددة حاجة الأمم الى المادة والنظر فى تلك المناهج الوافدة • كما حملت معهـا القـانون الوضعى الذى جرى تطبيقه بديلا للشريعة الاسلامية ، ثم ظهر من عيوبه ونواقصه ما كان بعيد المدى فى افساد الحياة الاجتماعية مما دعا المصلحين الى التماس مصادر تشريعاتهم من القرآن ، كما حملت معها محاولات اسقاط أسس وقيم وفرائض كان لاسقاطها أبعد الأثر فى تعجيز المسلمين والعرب عن مواجهة أخطار الغزو الخارجى ، كما عمدت مناهج الغرب الوافدة على اسـقاط فريضة الجهـاد • كذلك جرت المحاولات لتحريف التاريخ والنصوص الأساسية ، على نحو استهداف افساح الطريق لاقرار مفاهيم زائفة حاولت الصهيونية اقرارها ، كالتشكيك فى رحلة ابراهيم عليه السلام الى الحجاز وبناء الكعبة مع اسماعيل عليه السلام • كما جرت المحاولات لاضافة أشياء ليست أصيلة مثل الاسرائيليات التى حفلت بها كثير من كتب التفسير ، كذلك جرت المحاولات لادخال التأويل

فى التفسير بما يبرر الواقع أو يتخذ من الاسلام سلاحا لتأييد مذهب ما أو أيدلوجية مختلفة عنه تمام الاختلاف • ولقد وضح الغزو الفكرى التلمودى الصهيونى منذ وقت باكر فى دراسات متعددة : منها مايتعلق باليهود فى جزيرة العرب ، ومنها مايتعلق باللغات السامية وفيها ما يحاول قطع الصلة بين الحنيفية دين ابراهيم وبين العرب •

لَا عُبُودِيَّةَ إِلَّا لِلَّهِ

ان النظرة الفاحصة للتاريخ تكشف عن أن الاسلام قدم للبشرية يوم جاء حقيقة ذات ثلاث شعب هى : (١) التحرر من ظلمة العبودية البشرية الى الاخاء الانسانى (٢) التحرر من ظلمة الوثنية الى توحيد الله (٣)التحرر من ظلمة الجهل الى الحضارة والمدنيـــة •

وبذلك كان الاسلام فيصلا بين عهدين وعلامة بين عصرين حين أهدى الانسانية حقيقة التحرر من الظلمات الثلاث • فلقد كانت البشرية من خلال الحضارات الأربع القديمة السابقة للاسلام (الرومان ــ الفرس • الهند ــ الفراعنة) غرقى فى نظام عبودى قاس ، قوامه جماعة من السادة فى الأعلى ينعمون ويترفون ، وأمم من العبيد تساق بالسياط وترمى أمام الأسود وتقــدم للوحوش المفترسة بالمئات عقابا لخطأ واحد منها ، وأبرز صورة العبودية نراها عند أرسطوا ، وأفلاطون ، وسقراط شيخهم • والصورة المثلى فى جمهورية أفلاطون (الجمهورية القائمة على النظام العبودى) دفاع عن العبودية وعن الرق وعن حق أصحاب السلطان فى القتل والابادة ، فاذا انتقض عبد على سيد سمح للسيد بالانتقاض على جميع العبيد ، واذا ساد العبد فسيظل

عبدا مهما أوتى من سلطان السيادة • وهناك صورة ليكرجوس مشترع أسبرطه وهو يطالب بقتل آلاف الأطفال الضعاف •

فى هذا الجو العاصف المتجهم من القســوة والظلم يجيء الاسلام فيقرر أنه لا عبودية الا لله وحده ، ثم يعلن الاسلام قاعدة جديدة تنطلق ولها دوى مهيب وصدى رهيب : حين يقرر وحدة البشرية كلها « كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربى على عجمى ولا أبيض على أسود من فضل الا بالتقوى » •

حين أعلن الاسلام أنه لاتفاضل بين البشر الا بالجهد والعمل والكفاية ، وأنه ليس لانسان على انسان سيادة أو تمييز ، حطم ـ منذ ذلك اليوم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ حطم مفهوم السيادة العنصرية القائمة على الدم الخاص والأرومة الخاصة ، وأوقف الكبير والصغير أمام الحق سواء • وصدق رسول الله (كان الناس قبلكم اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، أما والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) •

بذلك حرر الاسلام البشرية من العبودية وكذلك حررها من الوثنية بالدعوة الى توحيد الله وحده ، فليس هناك من خالق ولا من رازق غير الله ، وكذلك أطلق التوحيد العقل البشرى والنفس البشرية من القيود التى كانت تأسرها حول الأصنام والأوثان فارتفعا الى مســتوى الاعتقاد بحيــاة أخرى وراء هذه الحيــاة •

كذلك حرر الاسلام البشرية من الجهل ودفعها الى التحضر

حين دعا القرآن الى النظر فى الكون والبحث فى الأرض والبحر واكتشاف سنن الله فى الطبيعة فكان المسلمون هم الذين بدأوا هذا العمل فاستقام لهم فأنشأوا المنهج التجريبى الذى نقل البشرية من المنهج النظرى اليونانى القائم على التأمل والمنطق ولما جاء المسلمون صححوا أخطاء بطليموس وأرسطو وعمدوا الى التجربة وتركوا آثارهم فى كل فنون المعرفة .

ان تسلط النزعة المـادية على الحضارة قد خلق وثنية جديدة هى أخطر من الوثنية التى جاء الاسلام للقضاء عليها . والوثنية عبارة عن عبادة الجسد . وهى اليوم عبادة المـال ، وعبادة القوة ، وعبادة السلطان ، وعبادة العلم ، وعبادة الحضـارة ، وعبادة العنصرية ، وعبادة اللذة والترف والرفاهية .

ان معنى الوثنية أن يخلق الانسان الها يعبده ، ويتخلى عن عبادة الله الحق . ان التلمودية اليهودية قد سيطرت على الفكر الغربى فنقلته الى عبادة العجل الذهبى والمـال ، وسيطرت عليه لبناء « امبراطورية الربا » .

ان العلم الذى هو معبود الغرب اليوم قد عجز عن أن يقدم للبشرية حلا لأزماتها ومشاكلها ، فما سوى المتـاع المـادى فانه لم يحقق شيئا ، أما النفوس فهى تواجه أزمة خطيرة خانقة ، هى أزمة الضياع والتمزق والانهيار .

العـالم ليس مادة فقط ، وليس علما وعقلا فحسب ، ولكنه الى ذلك روح ووجدان وقلب وعاطفة . ولطالمـا استطال القوم بالقول بأنهم تسلطوا على القدر ولم يخضعوا له . وانهم انتزعوا

من الطبيعة خيرها ولم ينتظروها حتى تسديه اليهم ، ولكنهم غفلوا عن أن كل ما يتحدثون به ثمنه هو المـادة والمـادة وحدها .

وغفلوا عن أن هناك عالمـا آخر ، وعلما آخر لم يعرفوه وقد حرموا منه لأنهم أنكروه .

الغزو الثقافى

جرت محاولات كثيرة فى أدبنا المعاصر ، جريا وراء مخططات التفريق والغزو الثقافى ، لتدمير الشخصيات النابغة فى تاريخنا وفكرنا ، وخاصة تدمير المتنبى ، وابن خلدون ، وابن تيمية ، والغزالى كما جرت نفس المحاولات لاعلاء شأن أبى نواس ، وبشار ، الحلاج ، حتى أن مستشرقا أمضى حياته كلها يجمع أخبار الحلاج ويكتب عنه الفصول الطوال والقصار .

وذنب هؤلاء الأعلام من مفكرينا فى نظر المبشرين والمستشرقين أنهم وقفوا أمام الفلسفة اليونانية ورفضوا الفلسفة الالهية التى تقوم على التعدد والوثنية .

ولقد كانت مواقف الغزالى فى مهاجمة الباطنية وعلم الكلام وأخطاء الفلاسفة فى التوحيد مقدمة لما قام به (ابن تيمية) من بعد ، حين هاجم المناطقة ومنطق أرسطو بالذات ، وكشف عن أن للمسلمين منطقا مستمدا من القرآن ، ويمكن رد أول هذه المحاولة الى امامين جليلين هما : الشافعى وابن حنبل ، الأول : حين وضع علم الأصول ، والثانى : حين وقف فى وجه محنة خلق القرآن ، فلما جاءت نظرة الامام ابن تيمية كان قد تكامل تحرر

الفكر الاسلامى من قيد الفلسفة اليونانية • وهذا هو « الشر الكبير فى نظر الغربيين والذنب العظيم الذى يدفعهم دائما الى الحملة على الرجلين العظيمين ، أما ابن خلدون فانه قد سبق أعلامهم بخمسة قرون الى مفاتيح علم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ • أما المتنبى فقد كان شموخه واعتزازه بالبطولة الاسلامية مصدرا للحملة عليه حتى ألف (بلاشير) كتابا ضخما حاول فيه هدمه وتدميره •

بين الاسلام ودعوات التغريب :

كان من أحرص ما عمدت اليه دعوات التغريب اثارة تاريخ ما قبل الاسلام والاذاعة به وتوسيع البحث فيه وذلك عن طريق البعثات الأثرية ، وانبعاث الدعوات الفينيقيــة والأشورية ، والبابلية والبربرية ، وذلك من أجل تفريق العرب والمسلمين عن وحدتهم العربية الاسلامية واعادتهم الى ماضيهم الوثنى قبل الاسلام واعلاء هذا الماضى وتزيينه • وكان للكشوف الأثرية التى حرص النفوذ الاستعمارى على استغلالها أبعد الأثر فى دعم هذا الاتجاه • غير أن دعاة هذه الدعوات فشلوا ولم يحققوا شيئا وعجزوا عن أن يفصلوا واقعا قائما بالحق والتوحيد خلال أربعة عشر قرنا كاملا ، وذلك هو الاسلام الذى كون العقلية والنفسية والمزاج العربى الاسلامى والذى يغاير مغايرة كاملة ما دعت اليه هذه الدعوات الســابقة التى قامت على الوثنية والالحاد والاباحة بينما قام الاسلام على منهج ربانى قوامه الفطرة السليمة ، وقد تقبلته هذه الأمم منذ اليوم الأول وأسلمت له وتحررت من وثنيتها واصارها القديمة ، وما تزال هذه الدعوات

تتجدد لتغرى المسلمين والعرب بالخروج من قيمهم ومزاجهم النفسى ، ليصبحوا عجينة طيعة فى يد العالمية والأممية التى تريد أن تصهرهم فى أتونهـا الكبير ، فلا يصبح لهم كيان خاص ولا شخصية متميزة • لقد كان الاستعمار والتغريب والصهيونية والماسونية والتبشير على اهتمام موحد واتفـاق متحد فى الاهتمام بالدعوات القديمة التى كانت قبل الاسلام ، وهى كثيرة، ومنها الدعوات الفرعونية والبابلية والوثنية وغيرها بما تحمل من أساطير وخرافات وسحر وأوهام ، وهى تحاول أن تجددها اليوم فى صورة جديدة من القصص ، والمسرحيات لتكون عامل اغراء للشـباب يستهدف تدمير القيم الاسلامية ، ولمعـارضة التوحيد ، والنبوة ، والدين الحق •

مُعْجِزَةُ الْقُرآنِ

من أهم عوامل القدرة على مواجهة الحرب النفسية التى يشنها أعداء العرب والاسلام ومقاومتها : الحفاظ على اللغة ، والتاريخ والتراث •

ومفهوم المسلمين عن اللغة العربية أنها لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم ، فاللغة العربية هى لغة العرب وهى لغة الاسلام نفسه ، وقد كانت معجزة القرآن أن جميع الأمم التى تتكلم العربية وتفكر بهـا تجمعها وحدة فكر وتربطها آصرة ايمان واحد • ولا ريب أن القرآن هو الذى حفظ اللغة العربية ، وسيبقى هذا النموذج الخالد دائمـا قمة البيـان العربى ، ومن المستحيل أن يظهر عمل من صنع الاسلام يفوقه بيـانا واحكاما أو يصل اليه أو يقترب منه ، ذلك لأن تفوق القرآن ليس من صنع البشر ولا من قدرتهم •

أما التاريخ فقد كان مفهوم الاسلام له أنه تحقيق ارادة الله فى الأرض • وبناء نظام عملى كريم ، وما من دين استطاع أن يوحى الى المتدين به شعورا بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع ، وان اعتزاز المسلم بدينه كما يقول بعض مفكرى الغرب يعم المسلم على اختلاف القومية واللغة ،

وأن المسلم لا يفهم الاسلام حق الفهم الا اذا أدرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهرا وباطنا •

أما التراث فانه الميراث الحى المتصل بالحياة والمجتمع خلال أربعة عشر قرنا لم ينفصل ولم تنقطع به طريق أو حدث أو حائل من حوائل التاريخ أو الحضارة •

أمة الجهاد

ان الصوت الصادق الأصيل الذى ارتفع فى السنوات الأخيرة بالقول بأنه لابد من عودة فريضة الجهاد الى حياة المسلمين مرة أخرى كقوة اجتماعية وسياسية هو صوت الحق : وضوء الحق الى الطريق الصحيح للمستقبل الاسلامى والعربى كله ولأمد بعيـــد •

بل انها الحقيقة التى اذا ما وضعها المسلمون موضع التنفيذ فانهم لن يقعوا فى أزمة الغزو وتحديات الأخطار التى تحاول أن تحيط بهم وتمــزقهم وتقضى على قيمهم ومقـــومات فكرهم ومجتمعهم •

ان أمة الجهاد لا تستطيع أن تحيا حياة صـــحيحة الا اذا وضعت هذا الهدف موضع التنفيذ ولقد شهد تاريخ المسلمين خلال أربعة عشر قرنا بأنهم ما تخلفوا وما أصابهم الوهن الا حين أهملوا هذا الركن الركين من حياتهم وفكرهم •

وليست فريضة الجهاد قتالا ، ولكنها وقاية من غزو الأعداء ، انها هى المرابطة فى سبيل الله . المرابطة الدائبة التى لا تتوقف على الثغور وحول الحدود فى يقظة وقوة طلبا للشهادة . انها هى الصبر والمصابرة والجهاد بالأموال والأنفس واعداد العدة والقوة التى تجعل العدو يفكر ألف مرة قبل أن يقدم :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .

ولقد قدم الاسلام للعرب المثل الأعلى للحياة المثلى والمجتمع الأمثل . ان العرب بالاسلام كل شىء وهم بغير الاسلام عالة على فتات الموائد .

خُطْوَةٌ عَلَى الطَّرِيقِ

ان ضـــوءا جديدا يبدو من وراء الأفق ، ويتشكل الآن فى النفس العربية يدفعها الى اتجاه أصيل يعيد اليها بناء فكرها ومجتمعها على أساس من شرعة السماء ، ويدفع موجة التحديات الفكرية . ويكشف عن الشبهات والأخطاء • ويمكنها من امتلاك ارادة الأصالة وتصحيح المفاهيم : كل هذا يؤكد أنه خطوة على الطريق الصحيح الى المواجهـة القادرة بالايمـان العميق لاستكمال النظرة وشمول الرؤية وتحرر النفس والعقل العربيين وخروجهما من دائرة التغريب التى تحـاول أن تقسرها على التفكير بمقاييس زائفـة . ذلك أن الخروج من هذه الدائرة المغلقة هو أول علامات النصر الحقيقية ، وهى تعنى التماس المنابع والأصـول والخروج من الزقاق الضيق الذى حبس التغريب فيـه الفكر الاسلامى ما يزيـد على نصف قرن من الزمان •

غير أن الخروج من دائرة التغريب انما يستلزم الدخول الى دائرة الأصالة والثبات فيها ، وتأكيدها وبناء قلاعها وحصونها التى تدافع بها عن وجودها وحياتها ازاء تجدد الغزو ، واثارة

الشـــبهات والحملات الضـــارية من دعاة التغريب والتبشير والاستشراق والشعوبية •

يقول أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب :

انما تنقضى عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لم يعرف الجاهلية ••

وما أعتقد ان كلمة يحتاجها عصرنا هذا ويجب ان ننظر فيها ونتعمقها مثل كلمة الفاروق ، فاننا قد نرى بعض التحولات الخطيرة فى فكرنا ومجتمعنا ، ثم لانجد ازاءه اهتماما أو • وعيا ، ظنا أن ذلك من الأمور اليسيرة التى قد تذهب وقد تجىء ، بينما لو اننا تعمقنا النظرة لوجدنا انها محاولة من محاولات ضرب القواعد الأساسية لفكرنا القائم على التوحيد ، وان هناك فوارق دقيقة بين الحق والباطل وبين الوثنية والتوحيد وأن تنقلنا حثيثا من نقطة الى نقطة ومن تنازل عن أشياء ربما رأيناها يسيرة فى مظهرها ، الى تناول آخر ، وآخر ، ولذلك فان صورة الجاهلية يجب أن تكون واضـــحة بما فيها من وثنية وانحراف وتضاد مع الحق ، والتوحيد ، والايمان •

ولذلك فان علينا أن نؤمن ايمانا عميقا ، وأن نعمل دائما على التعرف على الأبعاد الواسعة لقضية فكرنا الاسلامى ، وأن نكشف أولا بأول كل الشبهات والزيوف التى تحاول أن تجعل من نفسها مسلمات أو حقائق ••

اليقظة اليقظة ، وخذوا حذركم ••

تضليل باسم العلم :

من أخطر محاولات التغريب أن يفرض لنا منهجا معينا فى البحث تحت اسم العلم ثم لا نجد هذا المنهج مطبقا فى بلاده ، ولا بين أهله : ومعنى هذا أنه منهج مستحدث للمستعمرات وبلاد الاسلام التى يراد أن يقضى فيها على الذاتية والكيان • ومن أمثلة ذلك قولهم فى التراث : انهم يحاولون بكل وسيلة العمل على فصل الأجيال الجديدة فى الثقافة عن القديم ، فالأدب العربى الحديث فى دعواهم أدب منفصل نشأ فى العصر الحديث وارتبط بالحملة الفرنسية : ومعنى هذا ان خيطه ليس متصلا بالأدب العربى الاسلامى فى عصوره الممتدة ، وكذلك ما يسمى (الفكر العربى) وهو فكر نشأ فى ظروف الاتصال بالغرب وأوربا . ولذلك فهو منفصل تماما عن الفكر الاسلامى وعن المصادر الاساسية من اللغة والعقيدة والتاريخ ، وبينما تجرى النظريات الوافدة لاقرار ذلك فى أفقنا نرى أن الغربيين لا يؤمنون بالانفصال بين الحاضر والماضى فى تراثهم أو فكرهم أو أدبهم • فهم لا يرون فى الحديث شيئا له قيمة الخلود والبقاء الا اذا كان ثمرة وامتدادا بالروح والمعنى للأدب اليونانى الاغريقى الهلينى القديم ، ولا يرون الفكر الا مرتبطا بالحضارة الرومانية وقانونها ونظامها • ويحدث هذا فكرا وتراثا انفصلت عنه أوربا ألف سنة كاملة بينما لم ننفصل نحن عن أدبنا وفكرنا يوما واحدا • وهم يطرحون علينا مناهج للترجمة تقوم على تعرية الأبطال واثارة نقط الضعف فيها بينما يقدسون أبطالهم ويسبغون عليهم حلة من الزهو والبراعة والفن ، فاذا عرضوا لمواقف الضعف التمسوا لها العذر وخففوا أثرها وبرروها ، فلماذا ونحن المقلدون فى كل شىء لا نقلد الغرب فى هذا المنهج •

الأخلاق والتقاليد :

من صور التمويه الخطيرة التى تحتاج الى تنبيه وتذكرة : احلال التقاليد محل الأخلاق ، والأخلاق من أصل الدين ، والتقاليد من صنع المجتمعات ، والأخلاق ثابتة والتقاليد متغيرة ، فلقد حرص التغريب على ايجاد التداخل بين الأخلاق والتقاليد رغبة فى ازاحة الأخلاق واعلاء التقاليد ، تحت قصور مفهوم الاسلام ، وذلك يتطلب منا يقظة ووعيا حتى نعرف الفرق بين القيم الخالدة التى هى مصدر القوة وركيزة المجتمع السليم ، وأن نزيل تلك التقاليد البالية التى أفسدت حياة المسلمين وزيفت ملامحهم الأصيلة وحولتهم الى أشباه وثنيين وماديين .

ولقد كانت دعوة الاسلام وكلمة الرسول حاسمة فى التفرقة والوضوح وعدم تقليد الأمم الأخرى فى مطاعمهم وملابسهم وأسلوب عيشهم ، فى الموت والفرح والعيد وغير ذلك ، ومازلنا فى حاجة الى هذا الوضوح ، وضوح الشخصية الاسلامية وتفردها ، هذه الشخصية التى بناها القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتها المثلى وأسوتها الحقة .

[وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا] .

فلنحرر أنفسنا من التقاليد ، ولنصل أنفسنا بالأخلاق ، ولنعرف أن كل ما تتحرك فى اطاره مذاهب العلوم الاجتماعية والتحليل النفسى فى الغرب انما هى التقاليد ، ذلك لأن هذه المجتمعات قد فرقت بينها وبين أخلاق الأديان منذ عهد بعيد ، ولذلك فهى ترى أن التقاليد تتطور وتتغير ونحن نرى معها

ذلك ، أما الأخلاق . أخلاق الدين فانها ليست كذلك ، انها ثابتة ثبات قيم الاسلام نفسه .

مارسمه الاسلام للانسان المسلم :

رسم الاسلام للانسان المسلم صورة جامعة ذات أبعاد أربعة :

اذا استوفى منها بعدا أو بعدين أو ثلاثة ظل مع ذلك فى حاجة الى أن يستكمل أبعاد شخصيته المؤهلة بالكمال الى استشراف الملأ الأعلى .

(أولا) : عقيدة صحيحة تقوم على علم صحيح متحرر من أوهام النحل أو أوهام المذاهب القديمة . قوامها مفهوم القرآن الذى كان رسول الله مطبقا له ، ليس مفهوم العقل وحده ولا الوجدان وحده ولكنه المفهوم الجامع لهما .

(ثانيا) : عبادة كاملة صادقة الاخبات لله أوقاتا وفرائض وحسن أداء مع التوسع والقدرة على النافلة وصلاة الليل .

(ثالثا) : خلق كريم : طهارة لسان وقدرة على احتمال الأذى والكلمة المسيئة دون تطلع الى انتقام أو ظلم .

(رابعا) : قدرة على الانفاق فى الله مع توقى شح النفس بالعطاء ودون ما استعلاء أو من .

ولابد من تكامل هذه العناصر الأربعة فى شخص المسلم قدر المستطاع ، فيكون الخلق فى اطار العبادة ، ويكون الانفاق فى اطار الايمان مع الترابط الكامل .

ومن هنا نفهم عبارة القرآن الكريم : « قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » ان الخطأ هو التفريق بين العبادة وحسن الخلق ، أو بين العلم والعبادة ، أو بين الشريعة والعبادة .

ان أعظم ما جاء به الاسلام : هو افراد العبودية لله ، والتفرقة الواضحة العميقة بين الالوهية والنبوة من ناحية وبين الله والعالم من ناحية أخرى ، وبين الخالق والمخلوق من ناحية ثالثة . وسيدنا رسول الله هو أعظم بنى البشر جميعا ، ولكن الله سبحانه وتعالى نوه بتقديره فى اطار واضح هو أنه بشر رسول . وحرص رسول الله دوما على أن يقف الناس عند هذه القاعدة الاساسية فلا يجاوزونها ، حتى أنه يوم كسفت الشمس وتصادف وفاة ابراهيم ابنه خرج مسرعا ليحدث الناس أن كسوف الشمس ظاهرة يذكر الله بها عباده ، وأنها لا علاقة لها بموت أحد أو حياته . ولقد أفرد الله سبحانه وتعالى نفسه باستجابة الدعاء « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » وأن عظمة سيدنا محمد ومعجزته الكبرى وهو القرآن ليست فى حاجة الى مزيد من تخيل أو اضافة معجزات أخرى مما ليس واردا فى القرآن أو السنة الصحيحة . ونحن المسلمين نلتزم ما فعله رسول الله ولا نثق الا بما جاء فى القرآن والسنة ولقد دعانا القرآن الى الحق وحده ، والحق يكفى ، وان قدر رسول الله ليس فى حاجة الى مزيد منا بعد أن وصفه الحق

تبارك وتعالى بأعلى ما وصف به بشر حيث قال « وانك لعلى خلق عظيم » •

العلم •••• والأخـــلاق :

ظن أهل الغرب أن العلم سيكشف لهم أسرار الكون ويجيب على السؤال الخالد : لماذا جئنا وما هو هدفنا فى الحياة ؟ غير أن العلم لم يلبث أن تواضع بعد استعلائه وأعلن أن مهمته لا تعدو تفسير الظواهر وقدم تعريفا واضحا محددا ، هو دراسة أشياء هذا العالم بالملاحظة والتجربة لمعرفة خواصها وطبائعها واستخراج القوانين والنظريات المتعلقة بها ، أما فى مجال النفس الانسانية ومهمة الانسان فى الحياة وما وراء الظواهر ، فقد أعلن أنها ليست من مهمته ، وبذلك وضح أن هناك لونا آخر من المعرفة هو الذى يهدى الانسان الى أسرار الوجود والحياة ، ذلك هو الدين الحق الذى قدم عن طريق الوحى منهجا كاملا عن هذه الحقيقة ، وكشف عن العلاقة بين خالق الوجود والانسان ، وبين الناس بعضهم بعضا ، وأبان عن مهمة الانسان فى الحياة ومسئوليته وجزاءه بالمثوبة والعقاب بعد البعث والنشور ، ولكن الانسان ما زال عاجزا عن التلقى وقد بلغ به توقفه عن معطيات العلم المادى وحده أن أصابه التمزق والانفصام والقلق ، وما يزال الانسان فى أزمته حتى يعرف طريقه الى الله ، كذلك فان تقدم العلم لم يضمن ارتقاء الأخلاق ، بل أدى الى عكس ذلك ، وليس مسئولية ذلك على العلم ولكن على الحضارة التى أخذت معطيات العلم منفصلة عن ضوابط الأخلاق •

الإسلام مستمد من ذاتيته

ان المذاهب الوافدة لن تستطيع أن تستوعب أصول الاسلام ومفاهيمه لأنها لا تستهدف ذلك أساسا ولو حاولت أن تقصد اليه لعجزت بأدواتها القاصرة ، وهناك فى الغرب كثيرون فهموا الاسلام عندما تحرروا من مذاهبهم والتمسوا منابع الاسلام نفسه وأصوله الأصيلة ، فعلى المسلمين أن لا يخدعهم بحث الباحثين فى دينهم وعليهم الا يتلقوا منهم تلك المفاهيم المسمومة التى يراد بها أن تردهم الى مفهوم غربى قاصر للاســلام ، يجعله على مستوى التفسيرات الناقصــة ، ويحد من سعته وعمقه ، ولا يستطيع استيعابه وفهم العبادة . ذلك أمر يحول بين الاسلام وبين رسالته الحقه التى يستمدها من ذاتيته المفردة الخاصة وان اشترك مع الأديــان الأخرى فى مقاومة المادية أو الالحــاد ان محاولة « احتواء » الاســلام انما تتمثل فى أساليب كثيرة منها هذه المحاولة التى يقدمها الاستشراق لفهم الاســلام ؛ على أنه دين عبــادة وهو ليس بدين عباده ولكن العبادة جزء منه ، وعلى أن القرآن كتاب كتبه محمد ، وهو ليس كذلك ، فهو الكتاب الوحيد الباقى على الأرض المنزل من السماء عن طريق الوحى والذى تكفل صاحب الدين بحفظه وبيانه . وهناك الى جانب ذلك ، المفهوم الغربى المتضارب بين

النبوة والالوهية وفى الاسلام هناك وضوح كفلق الصبح يحجز بين الالوهية والنبوة فلا يختلط الأمر فيها أبدا •

على شبابنا المسلم ان يفتح عينيه جيدا ليرى ، فلا يغرنه بريق الحرام ، ولا يغرنـــه كثرة الخبيث ، وليعلم أن الحق دائما مع الجانب الأضعف والأقل ، وان الباطل دائما وسيظل فى زهو واســتعلاء ، خاصـــة فى هذا العصر الذى بلغت فيه الحضارة المادية الوثنية أقصى غاياتها كمقدمة لانحلالها ودمارها السريع •

ولتعلم أن أصحاب الأهواء هم دائما قادرون على اعطاء ما يلمع وما يثير العاطفة ، ولكنهم لا يقدمون ابدا ما يسعد النفس أو يعطى الأمن ، وانما الذى يعطى الأمن هم أهل الحق ، المتابعون لكتاب الله • ولسوف نجد مع هذه الاهواء البراقة أذى كثيرا ، ستجد تمزقا وقلقا وشكا ، ذلك لأنها تجافى الفطرة الانسانية ، فاذا استطعنا بالارادة والايمان والخوف من سوء الجزاء أن نرد نفوسنا فسوف نجدنا على طريق الحق •

ان النفس الانسانية تحب اهواءها وتظن أن فيها السعادة ، ولكن سعادة النفس الحقة انما تتحرك فى دائرة الضوابط التى أقامها الاسلام حتى لا يقع صاحبها فريسة للهزيمة والدمار •

ولقد أعطى الاسلام المسلم كل مطامحه ورغباته المادية فى اطار من الحكمة والحماية حتى يظل قويا صامدا ، فلننظر الى هذه البضاعة المزجاة المطروحة فى سوق الفكر نظرة أشد عمقا وعند ذلك نجدها بضاعة ضالة •

الايمان بالغيب :

وسع الاسلام أفق المعرفة فجعله شـاملا لعالمى الشهادة والغيب جميعا ، ولم يقصره على المرئيـات وحدها ، وجعل مصادر المعرفة فى عالم الشهادة :

السمع والبصر والفكر ، وفى عالم الغيب : النبوة والوحى والوجدان • ويجمع الاسلام بين الايمان والمعرفة ، ولا يجعل من أحدهما مضاداً للآخر ، ويرفض الاسلام الاقتصار على مفهوم المعرفة القائم على الحس والتجربة ، ويضيف اليه علم النبوة الذى جاء عن طريق الوحى وسجله القرآن ، وفيه تفصيل كل ما يتصل بعالم الغيب والجزاء والآخرة •

ومن هنا جعل الاسلام الايمان بالغيب شرطا أساسيا من شروط الاسلام •

وأبرز مفاهيم الاسلام الوضوح الصادق ، حيث لا تأويل ولا غمغمة ، وحيث لا يحمل اللفظ أكثر مما يطيق أو يؤدى أكثر من معناه ، وحيث الحق حق والباطل باطل ، وليس بينهما شىء ، فلا يكون الشىء حقا وباطلا فى نفس الوقت •

ويقوم ذلك المنهج على أساس استعمال العقل المؤيد بالوحى ، وينطلق من خلال معالم أساسية وبديهيات قوامها أن الجزء أقل من الكل ، وأن المتضادين لا يجتمعان ، وأن الجسم الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد •

ان تأثير القرآن الكريم فى المسلمين لا ينقطع، وفى العرب لايتوقف ، لأنه مصدر المنهج الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والتربوى والقانونى لحياتهم الفردية والاجتماعية ولا ريب أن تحرك الفكر الاسلامى انما يجرى فى نطاق القرآن واطاره ، فاذا خرج عنه وقع الحرج ، هذا الحرج لا يرتفع الا اذا عاد المسلمون الى التماس منهج القرآن • ولقد كان التأويل من أخطر الأسلحة التى استعملت لتفسير النصوص ، تفسيرا يخرجها عن مدلولاتها الأصيلة الى مدلولات ومفاهيم متحرفة ، ولقد حذر القرآن من هذا الخطر ، وأولى الرسول صلى الله عليه وسلم اهتماما كبيرا لهذا الأمر ، حتى لا يقع المسلمون فى محاذير تخرجهم عن أصول دينهم الجامعة الواضحة •

وهناك محاولة زائفة لهدم قدسية النص الاسلامى القائم على القرآن والسنة بالفصل بين الأدب والفكر ، وبين العروبة والاسلام وبين الدين والمجتمع ، وبين الشريعة والأخلاق ، وبين العبادة والدولة وهو فصل عسير ، لأنه يرمى الى تدمير أعظم قوى الاسلام وهى التكامل الجامع الذى يربط بين القيم ويجعلها من قوة واحدة •

اَلْقُرْآنُ وَحْيٌ إِلٰهِيٌّ

ليس الوحى انطباعا فى نفس محمد صلى الله عليه وسلم .

فهناك فارق عميق وواضح بين نظم القرآن وكلام سيدنا محمد ، فلنحذر خطأ القول بأن القرآن فيض من العقل الباطن وليس وحيا الهيا ، حتى ليقول بعضهم : أليس الأفضل الاشادة بعبقرية محمد والمعيته وصفاء نفسه بنسبة القرآن اليه ، ومن الحق أن يقال ان الله قد أشاد بنبيه بما لا تستطيع البشرية كلها أن تصفه به ، ولكن مع المفهوم الصحيح :

« قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى »

ان الهدف هو قطع الصلة بين المسلمين والقرآن ، فانه ان كان القرآن كلام محمد فهو من عمل البشر ، ومن هنا يفقد معناه الاسمى وينتهى أمر الاجماع عليه ، لقد كان محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فمن الذى أطلعه على أن ما فى القرآن مصدق لما فى التوارة ، حتى يتحدى به اليهود ؟ لقد كان علمه بشئون قومه لا يزيد على علم غيره ، فمن الذى أطلعه على قصص الأولين ؟ .

ان من أبرز شبهات الاستشراق الغربى اليوم حجب مفهوم الوحى والنبوة ومحاولة تصوير الرسول الكريم على أنه مصلح عظيم استوعب فكر عصره ، وذلك وهم باطل يساير المفهوم المادى الذى يقصر عن فهم تلك المعجزة الكبرى التى حققت قيام دولة الاسلام الكبرى .

الاستعصام بالقرآن :

ان أمة شكلت وفق منهج القرآن الربانى وصيغت عليه قرونا طويلة ، من العسير عليها أن تلتمس منهجا آخر قد كونته أمم أخرى يختلف مع عقيدتها ويتباين مع مقومات حياتها ، ذلك أنه من خلال هذه المناهج الوافدة يتوزع فكر الأمة ويختلف هديها وتضيع أكبر مقومات القوة والصمود : وهى وحدة الفكر التى هى مقدمة الوحدة الكبرى للأمة كلها .

ومن هنا كانت ضرورة الحذر من مدارس الارساليات ومعاهدها وجامعاتها والحذر من مناهجها فى التربية والتعليم التى تسرب السموم الى الصحافة والثقافة العامة ، وان مفهوم التحرر من التقليد الأجنبى يعنى بالضرورة تصحيح مادسته الشعوبية ودسه التغريب حول الاسلام والقرآن واللغة العربية والشريعة الاسلامية من شبهات وسموم ، وتنقية المفاهيم والقيم من الشوائب والأخطاء، ولاسبيل الى ذلك الا بالاستعصام بالقرآن ، فهو المصدر الأول والأكبر لحل جميع المتناقضات ، وهو العامل الأقوى لامداد الفكر والأمة معا بالأصول الأصيلة والحلول الصادقة التى تعصم حياة المسلمين من الاضطراب

والتمزق • ولا سبيل الى اقامة وحدة فكر الا بتوحيد مصادر التربية والتعليم : ان وحدة التعليم هى أساس وحدة الفكر والثقافة جميعا •

خطران يواجهان الشباب المثقف : وكلاهما مر •

أما أحدهما : فهو كتب موضوعة ومكذوبة •

وثانيهما : كتب الوجودية والجنس والأدب المكشوف •

وأبلغ الخطر هو محاولة بعض المستشرقين ودعاة التغريب اعتماد مثل هذه الكتب التى ألفت فى فترة الضـــعف والتخلف كمصادر لدراسة الاسلام ، أو المجتمع الاسلامى ، أوالاستشهاد بكتب المحاضرات والفكاهات •

أما كتب « الأصول » التى ألفت فى العصور الأولى وحملت لواء الفكر الاسلامى الأصيل فقد حاول بعض أعداء الاسلام وصفها بالكتب الصفراء حتى يعزف عنها الناشئة والمثقفون •

ان نظرة صحيحة الى القرآن الكريم تكفى فى هداية المسلمين الى التراث الأصيل والتفرقة بينه وبين التراث الذى وضعته عصور التخلف والضعف •

وهذا هو الطريق الوحيد الى تحرر النفس العربية والعقل العربى من جميع أخطار الزيف •

دعوة كاذبة :

ليس تخلف المسلمين مرده الى الاسلام الا من حيث هو انحراف من المسلمين عن أصول الاسلام ، أما الاسلام فى حقيقته فهو مصدر تقدم المسلمين ونهضتهم وحضارتهم التى اتسعت آفاقها حتى شملت العالم كله ، وان محاولة أعداء الاسلام القول بأن التخلف فى عالم الاسلام يعود الى الاسلام — انما هو قول يكذبه التاريخ نفسه ، وتزرى به نصاعة أصول الاسلام وحقائقه فى ايجابيتها وارتباطها بالفطرة ومرونتها وتقبل العقل لها . ولقد كان الاسلام قادرا على اعطاء المسلمين القوة التى تمكنهم من مراجعة أنفسهم وتعرف أسباب ضعفهم والتماس عوامل اليقظة من المصادر الأصيلة لفكرهم ، وقد كان جوهر الاسلام فى بساطته ويسره وشموله وتكامله من أكبر عوامل اليقظة فى المراحل التاريخية المختلفة ، وأداة النصر فى الأزمات والمواقف الحاسمة .

وما زال الاسلام قادرا على العطاء لمن يلتمس منهجه وطريقه وسوف يظل المسلمون فى حيرة ما تجاوزوا منهجه وماتنكبوا طريقه ، ان القضية اليوم ليست فى أن يعلم المسلم عقيدته أو يكتشف أسباب ضعفه فهو يعلم ذلك جيدا ، وانما القضية اليوم هى بناء الارادة القادرة على العمل ، حتى تسترد العقيدة فاعليتها وقوتها الايجابية وتأثيرها الاجتماعى .

لافائدة فى علم بلا عمل :

من أهم مميزات منهج الاســلام فى المعرفة : التفرقة بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية التى ليس لها قيمة الا أن تكون للزينة أو لغو الحديث •

وفرق الاسلام بين العلم النافع والعلم الزائد عن الحاجة ، ودعا المسلمين الى أن يأخذوا من كل علم بما هو نافع ، وأن يستمعوا القول فيتبعوا أحســنه ، وأعلن الرســول أن العلم كثير ، فخذوا من كل شىء أحسنه ، وهو لذلك انما يركز على أهمية الاجتهاد ، ورفض التقليد ، والبحث عن البرهان ، وقبول الدليــل ، وتغيير الرأى دون حرج متى تبين أن غيره أصح منــه •

لقد ربط الاســلام بين العقيــدة والتطبيق ، وقرن العلم بالعمل ، ورفض مبدأ العلم لذاته ، وقرر أن العلم انما يطلب من أجل العمل به والافادة منه فى تحسين الحيــاة وتقدمها ، وكشف عن أن الطبيعة البشرية مزودة بقدرتين : قدرة نظرية تقوم على تحصــيل العلم ، وقدرة عملية تقوم على تعريف العمل ، ولا بد أن يمتزجا ويتكاملا ، ولا ريب أن فقد القدرة العملية يعوق التقــدم الانسانى ويحــول دون تحقيق نماء المجتمع •

ومنذ أربعة عشر قرنا كانت دعوة الاسلام الى المطابقة بين الكلمة والسلوك •

أحمد بن حنبل والفلسفة اليونانية :

حينما نعاود بالنظرة السريعة موقف الامام أحمد بن حنبل وصموده فى وجه الفلسفة اليونانية نجده رائدا مازال عصرنا فى حاجة الى الالتقاء به واتباعه ، فقد وقف فى اصرار أمام الفتنة خلال سبعة عشر عاما ، لا يتردد ولا يتراجع ، وهو ينتقل من سجن الى تعذيب الى امتحان بعد امتحان دون أن يثنيه ذلك شىء عن كلمة حق يرددها : « اعطونى شيئا من كتاب الله وسنة رسوله » .

لقد وقف سدا منيعا فى وجه الخطر الذى كادت تنزلق فيه الأمة الى الوثنية الفلسفية التى كانت تيارا عاصفا كاسحا ، يريد أن يقطع صلة هذه الأمة بالاسلام ، ومحمد والقرآن ، وصهره فى بوتقة التغريب والشعوبية الضالة المضلة .

يقول له أحد أصحابه : انما انت تقتل نفسك.

فيقول له : اخرج فانظر ، فيخرج فيجد الجموع تقف فى الساحة وفى يدها الأقلام والاوراق ، تريد أن تكتب ما يقول أحمد بن حنبل ، فيرجع فيقص عليه فيقول ابن حنبل :

هل أغش هؤلاء جميعا وأخدعهم ؟ ليس الى ذلك من سبيل ، ولقد كشف الله الغمة وانجابت المحنة ، ورفع ذلك القول الذى ليس له سند من كتاب ولا سنة ، وعادت رايات النصر والظفر تحلق فوق رأس أحمد بن حنبل ، فما زاده ذلك إلا تواضعا ولاغيره عن طريق اتخذه ، ولا ازدهى ولا طمع فى شىء مما

قدم له • ذلك لأن أحمد بن حنبل كان قد شكل نفسه على نحو من الزهادة والصبر والصمود ، مما مكن كيانه الانسانى الواحد من أن يحمل جهد عشرات الرجال الذين تهزهم أقل الصدمات فتنهار قواهم •

الاسلام ومسئولية التناصح :

من أبرز مسئوليات الاســلام مسئولية التناصح : التواصى بالحق والصبر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (وهو حق كل مسلم على كل مسلم) ؛ وهى دعوة لا تجد لها اليوم نصيرا ، فقد حاولت الخطط التغريبية أن تصــور الناس أحرارا فيما يأخذون وفيما يدعون ، لباسا وكلاما وزينة وتصرفا ، ودعا أصحاب المذاهب الاجتماعية الى ترك الشــباب والأبناء دون توجيه ، وحاولوا الوقيعة بين الآباء والأبناء ، فنشأت أجيال تكره الكلمة النافعة وتعتبرها قيدا ووصاية ، وقد كان الأولى أن يأخذ المسلمون بأسباب الاسلام وأساليبه فى التربية ، فيقيمون بينهم وبين أبنائهم والأجيــال الجــديدة صداقة وودا يجعل الرابطــة الفكرية والثقافية والوجدانية قائمــة ومتصلة دون تحديات أو عقد •

حَتمِيَّةُ تَعرِيبِ العُلُومِ وَالتِّكنُولُوجِيَا

لا بد أن تفتتح اللغــة العربيــة أبوابها لاستقبال العــلوم والتكنولوجيا بمختلف فروعها وأنواعها ، وهــذا شرط أساسى لقيام نهضة حقيقية ، فلا بد أن تنصهر هــذه العلوم فى بوتقة اللغة التى هى فكر الأمة ووعاء ذوقها وثقافتها ، ذلك أن مفهوم المسلمين للعلم وتطبيقه جد مختلف عن مفهوم الغرب ، فنحن نؤمن بأن العــلم للانسانية كلهــا ولذلك فنحن نحوطه بالقيم الاخلاقية ونجريــه فى دائرة التقوى الاســلامية فــلا يكون الا سلاما وأمنا وسعادة ونورا للبشرية كلها .

ومن أبرز الأخطاء أن نفصل بين اللغة والفكر ، أو أن نفصل بين اللغة العربية بوصفها لغــة أمة وبينها كلغة فكر وعقيدة وثقافة لأكثر من سبعمائة مليون مسلم ، وان ما تورده علوم اللغات لا ينطبق على اللغة العربية لذاتيتها الخاصة التى أعطاها القرآن ، فلم تعد بها لغة قوم لهم حق التصرف فيها .

وهناك دعوة ضارة الى مهاجمة الفصاحة العربية والخطابة والشعر العربى فى محاولة ترمى الى احياء العاميات وطبعها بطوابع التراث وهى دعوة تستهدف غرضا خبيثا يهــدف الى

فصل المسلمين عن مستوى بيان القرآن ويعمل على زلزلة وحدة الفكر الجامعة التى تضم المسلمين والعرب من خلال الفكر الاسلامى ذى التراث العتيد والميراث الأصيل ان أخطر الأخطار التى تواجه المسلمين والعرب اليوم هو تحركهم فى مواجهة العدو من داخل دائرة الفكر الذى رسمه التبشير والاستشراق والتغريب والذى يقسرهم الاستعمار على التحرك فيه .

ان أخطر التحديات مع العدو هو مواجهته بمفاهيم وافدة وقيم ليست مستمدة من أصالة الاسلام ومفهوم القرآن .

ان النظر الذى كسبه المسلمون فى « حطين » فى مواجهة الصليبيين انما كان مصدره الأول انهم تحركوا من خلال قيمهم ومفاهيمهم . ان أخطر ما منى به المسلمون فى العصر الحديث انهم انسحبوا من قاعدتين كبيرتين وحصنين عظيمين : هما الجهاد والشريعة الاسلامية .

لأن للمسلمين والعرب مثل أعلى يستمد وحيه من روح الله ، ان قانون المعركة الفاصلة بين المسلمين وأعوانهم لا يقوم على القلة والكثرة ، وانما يقوم على الثبات وذكر الله مع التماس كل أسباب النصر ووسائله المادية المتاحة .

وان تجربة العاشر من رمضان هى تجديد لمفهوم الاسلام فى مواجهة العدو .

أثر العرب في حضارة الغرب

إن هناك حقيقة يحاول الفكر الغربى أن ينكرها أو يتجاهلها أو يقلل من قدرها ، وهى حقيقة هامة لأنها ذات أثر نفسى بالغ ، فضـــلا عن أثرها التاريخى البارز ، تلك هى أن المسلمين هم الذين وضعوا المنهج العـلمى التجريبى الذى تقوم عليــه الحضـــارة الحديثـــة ، وأن المسلمين لم يقبلوا المنهج النظرى اليونانى لأنه كان منهج حضارة عبودية يختلف عن مفاهيمهم وقيمهم ، ولذلك فقد تحركوا من خلال القرآن الى انشاء منهج جـديد هو المنهج التجريبى ، وقـد شـهد بذلك (بريفولت) و (درابر) و (بيكون) وغيرهم من كبار أعلام الفكر الغربى .

وأعلن أكثر من باحث أن المسلمين سبقوا فى معطيات كثيرة مفكرى الغرب ، سواء فى مجـال الاجتماع أو الاقتصـاد أو التطـور أو السياسة سـبق ابن خلدون كلا من (سـميث) و (هيجل) ، كما سبق المعرى (دانتى) وسبق ابن مسكويه (دارون) وسبق الطرطوشى ميكافيلى كل فى فكرته وميدانه ، ولقد ظل الغرب ينكر أثر المسلمين فى حضـارة الغرب أكثر من ثلاثمائة سنة حتى جاء من كشف عن أثر العرب فى كل العلوم التجريبية والكيمائية والطبيعية ، فضلا عن الطب والفلك ، ولم

يجـد الغربيون أمامهم بدا من الاعتراف بعـد أن قال عالمهم الكبير : ان ابن الهيثم من أعظم علمـاء البشرية على الاطلاق واعترف نابغهم أن ابن خلدون أول من وضع أسس الاجتماع وفلسفة التاريخ •

الكاتب الصادق ومصدر قوته :

انما أوتينا من قبل الكتب اللامعة والأسماء البراقة ، فلنكن على حذر منهما ، ان نصاعة تاريخ الكاتب وصدق انتمائه الى أمته وفكرها هو مفتاح الثقة به ، لنكن على ايمان كامل بأن الكاتب الصادق يستمد قوته من الحق ويستمد مظهره من تراث الأنبياء والأئمة الابرار ، ويكون فى دعوته وهـدفه وكتاباته مطابقا لتوجيه القرآن « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » :

ولا يشترون به ثمنا قليلا ، وهو لا يحب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ، ولا يكون أبدا أداة لتزييف الحق ، أو تضليل الناس ، أو اعلاء شأن الأهواء ، أو خداع القارىء بالعناوين البراقة والكلمات اللامعة : كالفكر الحر ، والانطلاق ، ونسبية الأخلاق ، وحتمية التطور !! وأول علامات الصحة فى حكمنا : أن نحـاكم الفكر نفسـه بالاخـلاص والايمان وأن الكتاب المقدورين لدينا ، الأثيرين عنا ، لنأخذ منهم ونتلقى عنهم : هم الذين عرفوا بنصاعة الصفحة ، وسلامة الفطرة ، والولاء الخير ، خير هذه الأمة وفكرها وقيمها الأساسية •

ان من أكبر الخطأ : قول القائل «قلب عربى وعقل أوربى»

ذلك اننا فى الحق نؤمن بقلب عربى اسلامى وعقل عربى اسلامى أيضا ، لا تفرقة بين العقل والقلب ، ولا سبيل لأن يسير احدهما فى نهج مخالف للآخر ، ولا بد أن ينسجما معا فى طريق : هو طريق التوحيد والايمان والأخلاق على النحو الذى رسمه القرآن وقام عليه الاسلام •

فان كان المقصود بالعقل الأوربى : علوم الغرب الحديثة فاننا حين نأخذها انما نأخذها بالعقل العربى الاسلامى ومن خلال دائرة فكرنا الأصيل ذى الجذور العميقة التى لا تتحول أمام أى ظاهرة مستحدثه لتخرج بـه عن مقوماته ، والذى شارك قديما فى صناعة العلم ، وأنشأ المنهج العلمى التجريبى •

اننا فى الحق لا نحتاج من الغرب الا للعلم وهو نتاج شاركنا فيه وكان لنا دور عميق فى انشائه وبنائه ولا نأخذه الا بمفاهيمنا الجامعة بين الايمان بالعلم طريقا الى الخير والحق والعدل وخالصا لله تعالى •

أما القلب العربى فلن يكون قلبنا حقيقة الا اذا كان اسلاميا وعربيا معا ، فيه المروءه العربية تحرك فى ضوء الخلق الاسلامى ودوافعه ومراميه •

تحديات ثلاثة خطيرة واجهت المسلمين فى العصر الحديث :

(أولا) التحدى المنبعث من واقع المسلمين الفكرى ، وقد بدأت أول صيحة فى حركة اليقظة الاسلامية المعاصرة على

يدى الامام محمد بن عبد الوهاب وكانت منطلق مختلف الأعمال التى قام بها المصلحون من بعده وحتى اليوم •

(**ثانيا**) التحدى المنبعث من داخل المجتمع الاسلامى نتيجة الاحتلال ويتمثل فى الشعوبية ونفوذ التبشير ومدارس الارساليات ومناهج التربية والتعليم التى اخرجت الاسلام من العقل والقلب المسلم وفتحت امامه طريقا واسعا لتقبل كل الأوهام والاهواء •

(**ثالثا**) التحدى الخارجى ويتمثل فى التغريب ومناهجه ودعوته ومن ورائه الاستشراق ليملأ الفراغ الذى تركته مخططات الاستعمار فى تفريغ التربية والتعليم فى العالم الاسلامى وقد تظاهرت الحركتان الاستشراقية والتبشيرية على هذا العمل •

التشاؤم طابع غربى :

ان طابع التشاؤم الذى يسود الأدب الحديث هو طابع غربى محض ، وهو دخيل على الأدب العربى والفكر الاسلامى، ويرجع التشاؤم فى الفكر الغربى والأدب الغربى الى عدم الاقتناع العقلى بوراثة البشر جميعا لما يطلق عليه اسم الخطيئة الأصلية ، لقد ساد الوجدان المتشائم فى الغرب نتيجة لهذه القضية ، وظهرت آثاره القوية على الآداب والفنون والفلسفة والأخلاق •

وفى ظل هذا الاتجاه السوداوى المتشائم ينتشر على أوسع

نطاق فى عالم الغرب أفكار عن (لا معقولية الحياة) و (عبث الوجود) حتى أصبح المفكرون المتشائمون يشنون هجمات هستيرية على كل فكر معارض •

ويرى الباحثــون اليوم أن (الوجودية) هى أعلى أطوار فلسفة التشاؤم ويرد البعض ذلك الى الماكينــه التى انقلبت على صانعها الانسان وأصبحت وحشا مدمرا يحاول أن يقضى على عقله وقلبه ويحيله الى أداة طيعة له •

يقول باسبرز : ان التقدم العلمى الذى يعد صعودا بالنسبة للبشرية من حيث هى بشرية هو هبــوط وانتكاس لأخلاقيات الانسان

أَهْلُ اللّٰهِ

ان أهل الله لا يشغلهم جهاد العدو عن جهـاد النفس ، ولا جهاد النفس عن جهاد العـدو ، فهم لا يلوذون بشـعاف الجبال ليقفوا عن مجاهدة نفوسهم ، ولكنهم يندفعون فى غمار القوم يجاهدون بالكلمة : ويقولون مع الأول : فناء الصوفى فى الله وفنائى فى خلق الله . وهم يرون أن الاسلام لا يكمل مفهومه الا بمجاهدة النفس مع الخلق فى العمـل والمعاملة ، وهم يندفعون الى القتال وقد باعوا أرواحهم مؤمنين بأن طلب الموت هو أقرب طريق لأن توهب لهم الحياة . **ان أهل الله لا ينسلخون من الجماعة وانما ينسلخون عن مطامع الج ورغائبها . فهم يعبدون الله بالاقتحام فى الحيـاة والعمـ والتعمير وفق المنهج الربانى ، للوصول الى عزة المؤمن الذى يقيم المجتمع الصالح المتحرر من الأهواء والأوهام والمطامع .**

ان الالتزام الأساسى للسائرين الى الله ليس هجرة الدنيا

ولا عزلة عنها ، ولكنه تجرد عن الأهواء ، واستعلاء على الآثام .
ان تسليم الأمور لله واخلاصها له لا ينفى ارادة الانسان ومسئوليته عن عمله ، والايمان بالجزاء الأخروى ، فهو ليس تسليما من نوع الجبرية الضالة ، ولا انكارا للارادة جريا وراء الأهواء .

انما الصلاة والايمان اعداد للمسلم لأن يكون أهلا للحياة فى العالم الآخر وصولا الى الجنة ، وان لاداء الصلوات فى أوقات معينة كلمة عليا لها ارتباط بالزمن وتقدير لله وفضله ، وان فى الزام المسلم بأداء الصلاة فى هذه الأوقات سر يتصل بارتقائه الروحى والنفسى بحيث نعده لأن يكون مؤهلا للحياة فى الجنة ، فآيات الله وعبادته من شأنها أن ترفع **الانسان الى المقام الذى يحقق له الربانية ، بينما انصراف الانسان عن ذكر الله وعبادته هو بمثابة اخلاد الى الله وقصور عن الارتفاع فوق الأهواء والمطامع ، بما يحجب الانسان عن المنزلة التى تؤهله للفوز فى الآخرة .**

ولا ريب أن هدف الحضارة الأول ، ومطمع الانسان الأكبر : هو طمأنينة النفس وسكينة القلب ، وهو هدف تعجز عنه الحضارة ولكنه متحقق فى عبادة الله والايمان به ، ولا ريب أن كرامة الانسان هى فى احساسه بأنه مرتفع فوق مطالب

البدن وضرورات الغرائز وان كل معطيات الله له موجهة لله ؛ وفى ســبيل الله ، هــذا هو المعنى الأعلى الذى يتطلع اليه الانسان ليكون أهلا للجائزة .

الفكر الإسلامي يواجه التحديات

مازلنا فى مد النفوذ الغربى « استعمارا وحضارة » وكل المحاولات للتخلص من هـذا النفوذ أو التخفيف من آثاره ما تزال غير قادرة على ايقاف موجة المد المتعالية ، بل يمكن القول ان الموجة الآن فى أعلى ذراها وفى أسـوأ مراحلها ، بالنسبة للعالم الاسلامى الذى انضغط بين حجر الرحا المتمثل فى الصراع الغربى الصهيونى المادى وكان العالم الاسلامى هو هدف الغزو لأمرين :

(أولا) حتى يستغل الغرب كل مقدرات العالم الاسلامى ويبنى بها دولة الرفاهية .

(ثانيا) حتى لا يقف هذا العالم مرة أخرى على قدميه فى مواجهة الغرب ومن هنا عمد الغرب الى تمزيق الخلية الواحدة ، والحيلولة دون عودتها مرة أخرى الى وحدتها .

ولقد استطاع الفكر الاسلامى باصالته وقدرته على الدفاع عن قيمه أن يواجه هذه الموجة بضربات ابرزها حركة تصحيح المفاهيم واعلان تكامل الفكر الاسـلامى بمختلف عناصره

وفساد النظرية التى تريد أن تعيده الى عصور الضعف والتخلف . وما زالت هذه الموجة فى حاجة الى المواجهة الدائبة للوقوف فى وجه الشبهات المثارة بالعمل دوما على تصحيح المفاهيم ، وكشف الزيوف ، وشجب المؤامرات . ودحض الشبهات .

ان من يتدبر الآية الكريمة : « **بعثنا عليهم عبادا لنا أولى بأس شديد** » يعرف بجلاء أن المسلمين اليوم — على ماهم عليه — لابد أن يمروا بمجاهدة كبيرة حتى يصبحوا على مستوى الايمان والكفاية لمواجهة الخطر الذى يتهددهم ، ذلك أن تنازلات كثيرة قد سلم بها المسلمون فى الماضى حتى وصلوا الى هذا الموقف الخطير . ولا بد أن يستعيدوا أمرهم بالتماس المنابع الأصيلة لفكرهم وعقائدهم . وسوف يصبحون على مستوى القدرة والمسئولية فى وقت قصير . أما اذا فتح الله لهم هذا الباب من أبواب الضياء والنور وعرفوا أنهم انما يدورون الآن داخل دائرة المفاهيم الوافدة التى فرضت عليهم، اذن لابد لهم من الاندفاع بقوة للخروج من دائرة التغريب والالتقاء فى دائرة الأصالة ، فان مفاهيم الاسلام وقيمه هى وحدها التى تفتح الطريق الى النصر . وتدفع المسلمين الى تبين الضوء الكاشف والسبيل الصحيح . أن **عباد الله أولى البأس الشديد الذين سيحققون سنة الله فى الكون التى لا تتخلف هم أولئك الذين يعتصمون بالقرآن ويستمدون منه هديهم وعقائدهم ، وقد أصبح هذا الفهم مقررا اليوم فى العقول ويجب أن يكون قد أصبح الطريق الوحيد الذى لا طريق غيره .**

ان أول الجهاد الدفاع عن روح الاسلام فى أرضه ووطنه ذلك أن روح الاسلام اذا ضعفت فى المسلمين فقد برئوا من رحمة الله ورضوانه فقد أخذ عليهم العهد بأن يحملوا الرسالة ويبلغوها الناس ويصححوا المفاهيم ويكشفوا الزيف يوما بعد يوم . وعلى الباحثين أخذ العهد بأن يبينوا للناس ولا يكتموا • من أجل أن يتغلغل حب الاسلام فى قلب كل مسلم لابد من المعرفة اذ كيف يتغلغل هذا الحب لشىء نجهله ، ولابد من استكشاف الطريق الذى يحمل الآن عثرات كثيرة ان أهم ما فى الاسلام هو « التكليف » : هو ذروة الحياة وأساسها فاذا جاء من يريد اسقاط التكليف فهو انما يريد اخراجنا من المسئولية الفردية • ان حق الله علينا التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ان المسلم مطالب بان يفهم أمره أولا ، ثم له ارادته الحرة والتزامه الأخلاقى وعليه جزاؤه الدنيوى والأخروى •

الشخصية المسلمة والقيم :

ان هناك محاولة لحمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب والخروج من ذهنيتهم ، وهناك شبهات وأهواء تحاول ان تشوه تاريخهم ومبادئهم وثقافتهم وانتقاص الدور الذى قاموا به فى تاريخ البشرية وذلك فى محاولة خلق شعور بالنقص فى نفوس المسلمين •

والواقع أن الغرب قد نقل علومنا فى الماضى دون أن يعتنق ديننا أو ثقافتنا ذلك أن هناك أمورا مشتركة عالمية كالعلم والمعرفة

وأن هناك أمورا خاصة بكل أمة مطبوعة بطابعها .هى الثقافة والأخلاق والآداب والأذواق ، وللعرب خلقهم وثقافتهم وآدابهم النابعة من دينهم وفكرهم وذاتيتهم وهى القيم التى قادتهم فى الحياة خلال هذا المدى الطويل وحققت لهم النصر والتمكين فى الأرض والقوة والمهابة فى نظر غيرهم ، لذا فـــان التخلى عن هذه القيم من شأنه أن يهدم شخصيتهم وأن يجعلهم مجردين من طابع أصيل أو شخصية واضحة بين الأمم • ولقد تختلط الطوابع بين الانجليز والفرنسـيين والألمان والأمريكان مايزال يبدو عسيرا ، لأن هناك جامعا يجمعهم من اصول دين وثقـافة ولكن من العسير أن تختلط طوابع المسلمين والعرب مع الغـرب وقد تشكلت هذه الطوابع بمعزل عن هذه الأمم وانطلقت من منطلقات مختلفة بل ومتباينة أحيانا وان كان يجمعها جامع وحدة البشرية الواسع الكبير •

الاسلام بين الفلاسفة وعلماء الكلام :

يؤخذ الاسلام من أصوله الأصيلة وليس من كلام الفلاسفة أو علماء الكلام أو غيرهم وليس من طبيعة الدراسة الصحيحة أن نفضل جماعة من هذه الجماعات لنقول انها تمثل وحدها الفكر الاسلامى ، فـلا المعتزلة ولا أهل الكلام ولا الفلاسـفة ولا المتصوفة ولا الفقهاء ، وكل منفصل ؛ يمثل الاسـلام وانما

الاسلام الصحيح هو ما جاء فى القرآن وان حركة هذا الفكر كلها قد جرت فى سبيل استيعاب ما صلح من الثقافات الغربية وصهرها فى اطار الاسلام وبوتقته ؛ ولقد كانت هنــاك قوى تحاول أن تلتمس من هذه المذاهب سبيلا وقد ذهبت وبقيت هذه المساجلات فنظرتنا اليها اليوم يجب أن تكون على انهــا مراحل داخل حركة الفكر الاسلامى توصلا الى المفهوم الجامع الأصيل فاذا جاء من يقول لنا ان الاسلام عقلانى استمدادا من نصوص المعتزلة قلنا له ان هذا ليس صحيحا واذا جاء من يقول ان الاسلام فلسفى أو صوفى أو غير ذلك قلنا له مثل ذلك ، ونحن نعرف ولع المستشرقين بالاعتزال والفلسفة ونعرف انهم يحاولون تجديد هذه الدعوات الآن لتمزيق وحــدة المســلمين والتأثير على اصالة فكرهم ، فالفكر الاسلامى لم يتأثر بالفــكر اليونانى وانما أقام منهجه الأصيل المتحرر من كل تبعية ، وعرض عليه كل ما جاء من الخارج فأخذ منه وترك على قاعدته الاصيلة: « التوحيد » وفى هذا العصر لن يســتطيع الفكر الغــربى أن يسيطر على الفكر الاسلامى فان التجربة حاضرة ، والمفكرون المسلمون يقظون لمحاولات التغريب كاشفون لزيفها أولا بأول .

العلم والاخلاق وبناء الحضارة :

ما يزال مفهوم الاسلام فى الالتزام الأخــلاقى هو المظــلة الواقية التى جنبت القيم الانسانية التمزق والتجزئة والانشطار ،

هذا المفهوم القادر على أن يحمى البشرية من براثن التخبط والضياع التى وقعت بالفعل فريسة لها نتيجة لعزلها بين العلم والأخلاق فقد غاب عن بال الغرب أن العلم والأخلاق وجهـان متلازمان بالضرورة للبناء الحضارى ، ذلك لأن العلم من غير أخلاقياته من شأنه أن يفتح الباب نحو الشر والباطل والظلم والاستعلاء والارادة الانسانية هى مناط المسئولية والجزاء ، ولقد دعا الاسلام الى تربية الارادة حتى يكون الانسان قادرا على كبح الشهوات ومعارضة اتجاه الأهواء ، وقد رسم الاسلام ضوابط الارادة ودعا الى العناية بها فالانسـان مسئول عن عمله ، له ماكسب وعليه ما اكتسب ، وقد فرق الاسـلام بين التوكل على الله مع العمل وبين التواكل ، فالمسلم يتوكل على الله ويكافح ، وهو مؤمن بقضاء الله اولا ، وان له ثمرة عمله ، وعليه أن يستعين بالنظام والمبادرة والتمـاس سـنن الله فى الحياة •

الاسلام هو الدين الأول :

الاسـلام كما نص القرآن ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الأول الذى أوحاه الله الى الأنبياء ، جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليصحح الخطأ الذى طرأ على الدين الحق وليكشـف التحريف الذى أصاب الدأن الأول الذى هو الاسلام : رسالة الله الى البشرية منذ نوح عليه السلام •

ولذلك فقد جاء الاسلام وهو دعوة الله المتجددة لاقامة منهج

الله فى الارض من جديد ؛ ومن هنا فقد قطع الاسلام الامتداد الفكرى والثقافى بين ما قبل الاسلام وما بعده ، قطعـــه عن العرب اولا ثم قطعه عن كل الامم والاقطار التى امتد اليهـــا ، فلم يلبث الاسلام بعد زمن قليل أن قطع امتداد الوثنية عن العالم كله وألغى امتداد العبودية عن كل الأمم •

ومنذ جاء الاسلام كان فرقانا بين الفكر الربانى المصدر وبين الفكر البشرى ، فالفكر الربانى المصدر انسانى الطابع قائم على الحق والخير والرحمة والاخوة الانسانية ، والفكرالبشرى قائم على الأهواء والمطامع والظلم والعدوان •

وما تزال البشرية تتأرجح بين الفكر الربانى والبشرى حتى تعرف أنه ليس لها الا طريق واحد هو طريق الله : (وأن هذا صراطىمستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبلفتفرق بكم عنسبيله)

قمة الدين :

ان المجاهدة بمعنى معارضة الاهواء والمطامع، والكظمبمعنى تأجيل الرغبة هو قمة الدين وهو لا يقع تحت المخاطر الوهمية التى اذاعهـــا (فرويد) عن الكبت ، ذلك ان (الكبت) انمـــا يستمد معناه من انكار الرغبات أســاسا واحتقــارها وعـــدم

الاعتراف بها ، وهذا ما لا يدخل مطلقا فى اطار الاسلام الذى يقوم على أساس الاعتراف بالرغبات النفسية والحسية اعترافا كاملا دون انكار لها ، وان كان يؤخر الممارسة لها الى أن تتحقق القدرة المادية • ان خطر الكبت الذى يعتقد الفرويدية انه يؤدى الى العصاب ليس هو تأجيل الرغبات ولكن هو انكارها واحتقارها على النحو الذى يعرفه مجتمع الغرب نتيجة بعض التفسيرات الدينية ، اما الاعتراف مع التأصيل فذلك مما تقبله الطبيعة البشرية دون أن تضاربه • ولقد هالت طويلا دعوات التربية الحديثة بان توجيه الاطفال وتأديبهم يؤدى الى كيت وكيت ، من الامراض ، ثم أثبتت التجارب التى أجريت بالاحصاء أن ذلك محض وهم وان النفس الانسانية قابلة للتوجيه والتحذير والعقوبة دون أن يحدث ذلك عندها ما يسمى بمركبات النقص• ونحن نؤمن بأن صانع النفس الانسانية هو أقدر على فهمها ، وهو الحامى لها وان مارسمه من منــاهج واســاليب تحذير وترغيب وترهيب انما هو دواؤها وانه متقبل منها وليس بشاق ولا خطير ، ولا له ضرر ما على النحو الذى تهول له الفلسفات المادية •

الاسلام كيان قادر على الحياة :

لا ريب أن المفهوم الاسلامى قد تكامل تكاملا كليا قبل أن ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى وقبل الاتصال بالفلسفة اليونانية بوقت طويل • وان فهم الاسلام فهما صحيحا عميقا قد أعطى الجماعة الاسلامية شحنة من القوة والايمان واقامة الدولة •

وان الاسلام حين أصابته الأحداث وفى ظل أخطار الصليبية والتتار والفرنجة ، فأضاف الى معتنقيه أضعاف أصحابه الأصليين •

ولقد كان من أبرز قوانين الاسلام قدرته الفائقة على تجديد نفسه من الداخل ، وعلى اعادة صياغة فكره كلما انحرف هذا الفكر او اصابته دخائل تحوله عن جوهره ، وانه كان دائما كيانا حيا قادرا على الحياة والتجدد • قادرا على الاخذ والعطاء ، قادرا على التوسع والتكيف مع المجتمعات والعصور •

ومنذ ظهور الاسلام وكل حدث فى العالم ارتبط به على نحو من الانحاء ومنذ ان انتشر الاسلام الى اليوم لم يتغلب عليه متغلب وان تغلبت على أمته شدائد الأمم •

قاعدة الثبات وعنصر الحركة :

يوائم الاسلام بين روح الامة وروح العصر ، فلا يجعل روح العصر حكما على الناس حتى لايذهبوا مع اهواء العصر كل مذهب ، وينفصلوا عن قيمهم الاساسية ودينهم الذى هو عصمة امرهم ، ذلك ان روح الامة هى قاعدة « الثبات » وان روح العصر هى « عنصر » الحركة . واذا كانت روح العصر هى مجموعة من التقاليد والاساليب التى تجارى التقدم والتطور والحركة فانها ليست منفصلة ولا معزولة عن اساسها المتين المستمد من روح الامة فى عقيدتها واخلاقها وقيمها ولقد تتغير روح العصر آنا بعد آن ، وتجدد ، وتذهب تقاليدها مع التجربة والخطأ ، ولكن تبقى روح الأمة الأصيلة اطارا يحفظ على الامة كيانها وشخصيتها ومظهرها ويجعلها قادرة على مواجهة الاحداث .

وان علينا ازاء هذه العبارات البراقة التى تدعونا الى الحركة ان نكون قادرين على معرفة الفوارق الدقيقة بين الاشياء فلا تشتبه علينا ، لنفرق بين التقاليد المتغيرة والأخلاق الثابتة، ولنفرق بين العقيدة التى هى اصول خالدة وبين التاريخ الذى هو حركة البشر وفيه الصواب والخطأ والسداد والانحراف ، ولنفرق بين الأصل والواغد ، وبين الرواسب القديمة والرواغد الجديدة .

عملية التغريب :

ان عملية التغريب قد فرضت نفسها على العالم الاسلامى عن طريقين وبأسلوبين : أسلوب داخلى وأسلوب خارجى • أما الأسلوب الداخلى فقد ازالت من المؤسسات الثقافية العربية مناهج الاسلام وفرضت مناهجها واقامت ارسالياتها •

ومن هنا فقد حصرت فى يدها أمر التربية والتعليم وانشاء الاجيال الجديدة وصياغتها على النحو الذى يجعلها غير قادرة على حمل أمانة الأوطان والعقائد • وقد اهتدى التغريب فى هذا بقول (أرازمس) :

« سلمنى ادارة مدرسة ردحا من الزمن اتعهد لك ان أقلب وجه العالم بأسره » •

فلما صفيت كل المفاهيم التى يقدمها الاسلام من عقلية ونفسية وتاريخية طرحت المفاهيم والنظريات والمذاهب الغربية المختلفة المتضاربة المتصارعة وقدمت على أنها « علم » وليس على انها « فلسفة » وعلى أنها حقائق وليس على انها فروض تقبل الصح والخطأ ، ولم يقدم خلفياتها فى بلادها ولم يقدم نتائجها وكلها تؤكد الفشل والاضطراب فى أرضها الأولى فكيف بأرض أخرى لها قيمها وذاتيتها ومزاجها النفسى •

فلما خرج الاستعمار العسكرى من العالم الاسلامى كان قد أقام ركائز وأصبح له رجاله وأعوانه ودعاته الذين لم تنقطع الصلة بينه وبينهم فان أعظم الروابط ما زال هو « التبادل الثقافى » وهو تبادل من جانب واحد •

والحق ان تجربة التربية فى العالم الاسلامى فى حاجة الى دراسة واسعة لأنها أخطر ما واجه المسلمين وكان له أبعد الأثر فى الأزمة الكبرى •

أبرز سنن الاســلام :

كان من أبرز سنن الاسلام ظهور المصلحين والمجددين الذين يلتمسون منهج الاسلام الأصيل ويردون الأمم اليه كلما انحرفت عنه ، بتصــحيح المفاهيم وتحرير القيم والكشف عن الزيف والشبهات ، فالفكرة الاسلامية الخالدة تتجدد بالنوابغ والاعلام على رأس كل مائة سنة ، ولا تمر فترة دون ان يظهر الانسان الممتاز المصلح الذى يعارض التيار المنحرف ويصدع بالحق ، ولقد عرف الاسلام فى خــلال تاريخه الطويل نماذج متعددة متصلة من أولئك الابرار الذين حرروا الأمة من الفتن والبدع والمؤامرات والتحريفات ، والذين وقفوا مواقف مجيدة نصحوا فيها الله ورسوله وقدموا الكلمة التى امروا بها من أجل التواصى

بالحق والتواصى بالصبر ، ووجهوا وأرشـدوا ، ولم يخشوا سطوة الظالمين والطغاة .

من أمثال أبى حنيفة ومالك وابن حنبل وابن تيمته ، وغيرهم من العلمـاء والزهاد والفقهاء ، ومنهم الذين انسـحبوا من مظاهر الحياة ومراسيم الحكم صيانة لحق الله ، وحتى لايكونوا علامة على قبول الظلم والفساد .

اليهودية التلمودية والفكر الغربى :

من الفكر التى يجليها القرآن فى أوضح صوره : فكرة تلك الجماعة التى فرضت على البشرية فكرا مضادا للفكر الربانى المنزل من السماء . فقد شكلت هذه الجماعة محتوى ومفهوما وفلسفة كاملة وقد جاءت الرسل والرسالات تترى لتصحيح هذا المفهوم . ثم كان هناك الحق والباطل ، « فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

وما زال الصراع قائما ومسـتمرا وسـيظل ، وفى القرون الأخيرة امتد الفكر البشرى واستشرى أثره وحاول السيطرة على الانسانية لولا صـمود الفكر الربانى بأيدى حملته من المسلمين .

تلك هى المحاولة التى تقوم بها اليهودية التلمودية وهى تجر العالم كله الى نطاق الفكرة البشرية المعارضة للتوحيد والفطرة ودعوة السماء وهى محاولة لاخضاع العالم للقاعدة الربوية : « عالمية الربا » .

لقد فرضت اليهودية التلمودية نفوذها ثم جاء الاسلام ماحيا لها دافعا لوجودها محققا اقامة « أمة الحق فى الأرض » ثم مضت التلمودية اليهودية تسيطر على الفكر الغربى كله وتحتوية وقد انقاد لها هذا الفكر . ولكنها اليوم وهى تحاول أن تخوض مخاضة النطاق الاسلامى فانها سوف تعجز وسوف تتحطم مذاهبها وايدلوجياتها على قاعدة التوحيد وفى ضوء الحق والعدل الالهيين .

وسوف لا تستطيع احتواء الاسلام مهما حاولت .

ان هذه لأمة التى وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس سوف تصمد فى وجه الباطل حتى تجتثه وتدمره .

لم يعرض الاسلام القواعد والحلول مسبقا ولم يطبقها بالقسر والاكراه بل تفاعل مع طبيعة الانسان وطبيعة المجتمع ، فجاء منهجا واقعيا استوعب الحياة والأحداث وشارك فى توجيهها حتى اكتملت رسالته وتمت كلمته .

وكان الاجتهاد علامة من علامات النمو والحركة ، إذ كان قادرا على فتح الطريق بين الحضارات والأمم الى أصالة الاسلام ، حيث يلتقى بكل تطور حادث ويستطيع ايجاد الحلول لكل قضية تحدث مع تغير الزمن واختلاف البيئة .

ولقد أقام الاسلام حضارته وبنى مجتمعه على أساس التكوين الفردى ، واعتبره أساس التقدم وقرران الرقابة لا تأتى من فرد على فرد ، ولا من هيئة على هيئة وانما هى رقابة المسلم لربه وكذلك أعطى الاسلام للبشرية اجابات واضحة وكاملة عن معضلاته التى يواجهه بالعدل الاجتماعى والاخاء الانسانى والرحمة واحقاق الحق ، واستجاب للتغيير الاجتماعى والتقدم على طريق النهضة فى سبيل الوصول الى الغايات الكبرى : الوحدة البشرية وهدم العنصرية .

أزمة الحضارة الغربية :

هل مازالت الحضارة الغربية بعد تجربتها الطويلة قادرة على اعطاء البشرية حاجتها الحقة ، بل هل هى قادرة على حل أزمتها الخانقة قبل أن تعطى ؟

لقد استطاعت أن تعطى فى مجال المادة ولكنها عجزت عن العطاء فى مجال النفس وكان أكبر أزماتها حين فصلت بين المادة

والروح والنفس والعقل ، والعلم والدين والأخلاق والسياسة والعقيدة والمجتمع •

وكانت بالغة الخطأ فى اعلاء العنصر ، والقول بأن فكرها هو فكر العالم وحضارتها هى حضارة العالم وتاريخها وحده هو تاريخ العالم وان منهج أوربا وفكرها يجب أن يسود فيكون قانونا عاما تخضع له البشرية •

ثم جاء من يقول انه ليس هناك فارقا من الشرق والغرب ، وكان ذلك كله محاولة لاحتواء الحضارات والأمم والقضاء عليها ، متجاهلة أن الأمم كونتها ثقافات وعقائد وجعلت لها خصائص مميزة ، وانه من المستحيل أن تنصهر فى بوتقة العالمية أو الأممية •

ان الحضارة الغربية الحديثة بعد أن تركت الدين حين عجز عن اعطائها حق الجمع بين العقل والروح ، واكتفت بمنجزات العلم ، وحاولت أن تقيم لها منهجا على أساس الفكر المادى ، كل ذلك ذهب بها بعيدا عن الفطرة وعن الاصالة وساقها الى انحراف خطير تواجهه الآن فى صور متعددة من التحلل والانحراف والاباحة ••

ان الغرب نسى أنه لابد من أساس ثابت تبدأ منه الحركة

وتنتهى عنده ، وان هذا الاساس لابد أن يكون من أصل أصيل ليس من عند الانسان ولا من صنعه •

هناك حرص واضح من الاسلام فى الفصل بين الفكر البشرى والفكر الربانى المنزل بالحق على الرسل والأنبياء ، وخاصة فى صورته النهائية الخاتمة « الاسلام » فليس الاسلام شبيها يقارن بأى فلسفة أو مذهب أو ايدلوجية وليس من حق أحد أن يضعه موضع المقارنة مع الفكر البشرى ولذلك فمن الخطر النظر اليه والى الفلسفات نظرة المفاضلة أو المقارنة •

ولقد جاءت البينات للبشرية من رسالات السماء أساسا فانحرف البعض عنها تحت سلطان العقل ومحاولة الانسان فى التأويل والتفسير •

ومن هنا افترق الفكر الربانى عن الفكر البشرى ، وظل الفكر الربانى المستمد من رسالات السماء يحمل طابع التوحيد والعدل والحق بينما ذهبت الفلسفات مذهبها وراء الاهواء والمطامع •

وسوف تجد البشرية نفسها بعد المعارضة الشديدة عائدة مرة أخرى الى المورد الأصيل لأنها فشلت فى عشرات التجارب والوسائط •

لقد كشفت الدراســات التى أجريت حــول أزمات الأمم والشعوب ان التقدم فى مجال العلم والثقافة ليس عوضا عن التربية وليس بديلا عن التهذيب الخلقى ، ذلك لان العلم سلاح له حدين يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبناء والتعمير ولابد من أجل استعماله اســتعمالا صــحيحا أن يتم ذلك فى اطار الاخلاق .

ومن أجل ذلك جمع الاسلام الى العلم والثقافة : التربية حيث ربط التعلم بالخلق ، وجمع بين العلم والايمان ، وأقام منهجه على تقوى الله ، فلابد فى الاسلام من بناء العقل وبناء الوجدان معا ، وعلى العلم أن يكون وسيلة الى العمل النافع فى اطار الرحمة والخلق .

ومن ناحية أخرى فان التقدم العلمى والتكنولوجى لا يتعارض مع الاسلام ولا يغنى عنه ، انه نمو فى الجانب المادى . لابد له من ضوابط من العقيدة والشريعة والاخلاق .

وقد تأكد منذ وقت بعيد أن العلوم العصرية لا تفيد المسلمين الا اذا اقترنت بتربيتهم الدينية وثقافتهم الاساسية وسارت جنبا الى جنب مع أوضاعهم وعقائدهم وان تهذيب المسلمين بالمعارف العصرية اذا تم خارج دائرة قيمهم يزيدهم انحطاطا وفساد أخلاق فلا تنفعهم العــلوم الا اذا كانت ضمن دائرة عقيدتهم وقيمهم الأساسية .

وبعــد ...

فان هذه الأحاديث الموجزة انما هى بمثابة « مفاتيح » لفهم كثير من الأمور التى تحاول شبهات التغريب أن تزيف صحيحها وان تقدمها للمسلمين فى صورة أخرى غير اسلامية ولا ربانية.

فاذا أردت يا أخى المسـلم التوسـع فى ذلك فان هنـاك الموسوعات التى تحمل التفاصيل وتوسع فى الايضاح .

هذا وبالله التوفيق

مطابع الاهرام التجارية

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٧٤ / ٥٦٢٧